# العطر الندي
# في قصة صلاح العدني
# وخالد الكندي

تأليف:

أبي عبد الله فيصل بن عجرة قائد الحاشري

عفا الله عنه

# العطر الندي
## في قصة صلاح العدني وخالد الكندي

- **اسم الكتاب:** العطر الندي في قصة صلاح العدني وخالد الكندي
- **اسم المؤلف:** فيصل بن عبده بن قائد الحاشدي
- **عدد الصفحات:** ١١٥
- **المقاس:** ١٧,٥ X ٢٥

كل الحقوق محفوظة

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

# العَطْرُ النَّدِيُّ

## في قِصَّةِ صَلَاحِ العَدَنِيِّ وَخَالِدِ الكِنْدِيِّ

تأليف أبي عبد الله

فيصل بن عبره قائد الحاشري

عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديمُ فضيلةِ الشَّيخِ عبدِ الحَميدِ الحَجوريِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِ اللهِ، أمَّا بعدُ:

فقدْ قرأتُ جُلَّ كتابِ الشَّيخِ البَليغِ فَيْصَلِ الحاشِديِّ -حفِظَهُ اللهُ- في تَرجَمةِ الأَخوَيْنِ صَلاحِ العَدنيِّ وخالِدِ الكَنديِّ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ وما فيهِ مِنَ العِبَرِ، فرأيتُ أنَّهُ -حفِظَهُ اللهُ- قد أتحَفَ وشَرَحَ ووضَّحَ بِما يُفيدُ، فَلِلَّهِ دَرُّهُ، وعلىٰ اللهِ أجرُهُ.

والشَّيخُ فَيْصَلٌ فُقِدَ عنْهُ نِعْمَة، وفُتِحَتْ لهُ نِعَمٌ، ومِن أَجَلِّها: الهِدايَةُ إلىٰ السُّنَّةِ، وما وَهَبَهُ اللهُ مِنَ العِلمِ، وما يَقومُ بِهِ مِنْ تَأليفٍ ونَشْرٍ لِلعِلمِ.

وفيهِ أقولُ:

شَـــيْخٌ حَبـــاهُ اللهُ خَيْـــرًا ســـابِغًا ... في العِلْـــمِ والتَّـــأليفِ والتِّبْيـــانِ

فَـــاللهَ أَسْـــأَلُ أَنْ يُخَلِّـــدَ ذِكْـــرَهُ ... يَكْسُـــوهُ ثَـــوْبَ العِلْـــمِ وَالإيمـــانِ

أبو مُحَمَّدٍ عَبدُ الحَمِيدِ الحَجوريُّ الزَّعكريُّ

١٣ / ١٢ / ١٤٤٦ هـ

# ١- تَقْدِيمُ الشَّيْخِ: أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ رُدْمَانِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْحُبَيْشِيِّ - حَفِظَهُ اللَّهُ -

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

**أَمَّا بَعْدُ:**

فَقَدْ قَرَأْتُ رِسَالَةَ: "الْعِطْرِ النَّدِيِّ فِي قِصَّةِ صَلَاحِ الْعَدَنِيِّ وَخَالِدِ الْكَنْدِيِّ" - رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ تَعَالَىٰ - وَأَسْكَنَهُمَا فَسِيحَ جَنَّاتِهِ،

إِعْدَادَ الشَّيْخِ الْبَلِيغِ الْمُفِيدِ الْمُسْتَفِيدِ أَبِي عَبْدِ اللهِ فَيْصَلِ الْحَاشِدِيِّ - حَفِظَهُ اللهُ وَرَعَاهُ -.

فَرَأَيْتُهَا رِسَالَةً وَتَرْجَمَةً قَيِّمَةً، وَفَىٰ فِيهَا وَكَفَىٰ.

فِي تَرْجَمَةِ الْأَخَوَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ النَّبِيلَيْنِ.

صَلَاحِ الْعَدَنِيِّ وَخَالِدِ الْكَنْدِيِّ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

وَقَدْ كَانَا مِنَ الْحَرِيصِينَ عَلَىٰ الْأُخُوَّةِ فِي اللهِ، وَعَلَىٰ التَّصْمِيمِ وَالنَّشْرِ لِخُطَبِ وَمُحَاضَرَاتِ دُعَاةِ وَمَشَايِخِ السُّنَّةِ.

فَأَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يُكْرِمَهُمَا بِجَنَّةٍ عَالِيَةٍ.

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

فَدُونَكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ.

هَذِهِ التَّرْجَمَةَ الْقَيِّمَةَ.

الَّتِي فِيهَا قَصَصٌ وَعِبَرٌ.

**لِمَنْ تَذَكَّرَ:**

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ.

وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا لَمَسْنَاهُ.

وَرَأَيْنَاهُ مِنَ الْأَخَوَيْنِ.

صَلَاحٍ وَخَالِدٍ.

مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ مَعَ اللهِ،

فِيمَا نَحْسَبُهُمَا وَاللهُ حَسِيبُهُمَا،

وَلَا نُزَكِّي عَلَىٰ اللهِ أَحَدًا.

هَـــلْ لَـــكَ سِـــرٌّ عِنْـــدَ اللهِ ... بَيْنَـــكَ أَنْـــتَ وَبَـــيْنَ اللهِ؟

هَـــلْ لَـــكَ صَـــدَقَاتٌ تُخْفَـــىٰ ... لَا يَعْلَمُهَـــــــــــا إِلَّا اللهُ؟

قَصَـــــصٌ لَا تُكْشَـــــفُ ... إِلَّا بِكِتَابِـــكَ حِـــينَ تَـــرَىٰ اللهَ!

وَاللهِ، لَقَدْ قَرَأْتُ.

هَذِهِ الرِّسَالَةَ وَالتَّرْجَمَةَ.

لِلشَّيْخِ فَيْصَلٍ، وَدَمَعَتْ عَيْنَايَ مِرَارًا.

عَلَىٰ فِرَاقِ الْحَبِيبَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ.

وَلِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ.

هَذِهِ الرِّسَالَةُ مِنَ الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ.

فَدُونَكَ، أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ، هَذِهِ التَّرْجَمَةَ.

جَزَىٰ اللهُ الشَّيْخَ الْبَلِيغَ الْمُتَوَاضِعَ.

فَيْصَلَ الْحَاشِدِيَّ خَيْرًا عَلَىٰ كِتَابَتِهَا.

وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَهَا.

فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ.

وَبِمُؤَلَّفَاتِهِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ.

إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

وَكَتَبَهُ:

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ

رُدْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْحُبَيْشِيُّ

السَّبْتُ ١٩ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ لِعَامِ ١٤٤٦هـ

## ٢- تَقْدِيمُ الشَّيْخِ: أَبِي سُلَيْمَانَ سَلْمَانِ بْنِ صَالِحٍ العِمَاد - حَفِظَهُ اللَّهُ-

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ قِيمَةَ الحَيَاةِ الحَقِيقِيَّةِ فِي الدُّنْيَا هِيَ تِلْكَ الحَيَاةُ الَّتِي لَا تَمُوتُ بِمَوْتِ صَاحِبِهَا، بَلْ تَزْدَادُ عَلَىٰ مَا كَانَتْ قَبْلَ فَقْدَانِهِ، وَذَلِكَ لِمَا يَتْرُكُهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَذِكْرٍ حَسَنٍ، وَأَثَرٍ طَيِّبٍ، نَاهِيكَ أَنْ يَتْرُكَ مِنْ حَيَاتِهِ وَأَخْلَاقِهِ أَثَرًا يُرْوَىٰ، وَقِصَّةً تُكْتَبُ، لِتَكُونَ عِظَةً وَعِبْرَةً.

هَذِهِ هِيَ الحَيَاةُ الَّتِي تَمْتَدُّ لَهَا الأَعْنَاقُ.

وَإِنَّ مِنْ تِلْكَ الحَيَاةِ المُشَارِ إِلَيْهَا هِيَ حَيَاةُ الرِّفْقَةِ الصَّالِحَةِ المُتَآلِفَةِ الوَفِيَّةِ، الَّتِي تَبْدَأُ قِصَّتُهَا مِنْ لَدُنِ الأَخِ الكَرِيمِ وَالشَّابِّ الخَلُوقِ صَلَاحِ العَدَنِيِّ أَبِي تِيمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَقَدْ كُنْتُ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ يَتَوَاصَلُ بِهِمْ وَيُنَسِّقُ لَهُمُ المَقَاطِعَ الدَّعَوِيَّةَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فَقَدْ تَوَاصَلَ بِي وَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلُ، وَاسْتَأْذَنَنِي أَنْ يُنَسِّقَ لِي بَعْضَ المَقَاطِعِ، فَأَذِنْتُ لَهُ، فَفَعَلَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثُمَّ اسْتَمَرَّتِ القِصَّةُ المُحْزِنَةُ المُبْكِيَةُ، المَلِيئَةُ بِالعِبَرِ وَالعِظَاتِ، وَالدُّرُوسِ الصَّامِتَةِ وَالنَّاطِقَةِ، حَتَّىٰ وَصَلَتْ إِلَىٰ الأَخِ المُبَارَكِ خَالِدٍ الكِنْدِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثُمَّ فَاحَ عَبِيرُهَا، وَانْتَشَرَ طِيبُهَا، حَتَّىٰ أَصَابَ المُمَرِّضَ الهِنْدِيَّ آرَهَان، الَّذِي أَسْلَمَ، ثُمَّ مَاتَ، لِيَكُونَ جُزْءًا مِنَ القِصَّةِ المُشَارِ إِلَيْهَا.

وما زالَ الرَّكبُ يَمضي...

تَمضي أرواحُ الطيبين، وتغيبُ وجوهُ الصالحين، كأنّما يُختارون واحدًا فواحدًا؛

يَرْحَلُونَ في صمتٍ، ولكنّ أثرهم باقٍ، وسيرتهم تملأ الأرجاء عِطرًا لا يَفْنىٰ...

وبعد أن ودّعْنا صلاحًا، وخالدًا، وأرهانَ،

رَبَعَ بهم رابعٌ من خِيارِهم وأوفىٰ مَن سارَ علىٰ دربهم:

مازنُ العَيْدَرُوس، رَحِمَهُ ٱللَّهُ،

ذلك الجنديُّ المجهولُ، الهادئُ كالسِّرِّ،

الذي يَعملُ بصمتٍ، ويَرحلُ كذلك...

إِنَّهَا حَقًّا سِلْسِلَةُ الوَفَاءِ وَالإِخَاءِ الصَّادِقِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَىٰ البِرِّ وَالتَّقْوَىٰ.

إِنَّهَا سِلْسِلَةٌ فِيهَا نَمَاذِجُ الصِّدْقِ مَعَ اللهِ، وَثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ الإِخْلَاصِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ.

وَهَذَا مَا يُفَسِّرُ مَا وَضَعَهُ اللهُ مِنَ القَبُولِ لِتِلْكَ الرِّفْقَةِ المُبَارَكَةِ، حَتَّىٰ لَهَجَ بِذِكْرِهَا أَهْلُ العِلْمِ وَالصَّلَاحِ مِمَّنْ وَقَفُوا عَلَيْهَا.

فَيَا لَلَّهِ! مَا أَعْظَمَهَا مِنْ قِصَّةٍ سَطَّرَهَا بِبَنَانِهِ، وَدَوَّنَهَا بِأَنَامِلِهِ، وَسَاقَهَا بِسِيَاقٍ زَادَهَا جَمَالًا إِلَىٰ جَمَالِهَا، حَتَّىٰ سَالَتْ لِسَمَاعِهَا المَآقِي، وَأَخَذَتْ بِمَجَامِعِ القُلُوبِ، ذَاكُمُ الكَاتِبُ الأَدِيبُ، وَالشَّيْخُ الأَرِيبُ، الحَصِيفُ الحَبِيبُ، ذُو القَلَمِ السَّيَّالِ، وَالطَّرْحِ البَدِيعِ، الخَطِيبُ المُفَوَّهُ مِنْ غَيْرِ نُطْقٍ فَصِيحٍ، وَالمُحَاوِرُ المُقْنِعُ بِغَيْرِ لُغَةٍ مَسْمُوعَةٍ مِنْهُ.

حَقًّا، إِنَّ فَضْلَ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ.

إِنَّهُ الشَّيْخُ الفَاضِلُ الوَقُورُ أَبُو عَبْدِ اللهِ فَيْصَلُ بْنُ عُبْدِهِ الحَاشِدِيُّ، حَفِظَهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ.

فَقَدْ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ كِتَابَاتِهِ المَلِيحَةِ رِسَالَتُهُ:

"العِطْرُ النَّدِيُّ فِي قِصَّةِ صَلَاحِ العَدَنِيِّ وَخَالِدِ الكِنْدِيِّ"، رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وَقَدْ قَرَأْتُهَا كَامِلَةً كَلِمَةً كَلِمَةً، فَلَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أُفَارِقَهَا حَتَّىٰ فَرَغْتُ مِنْهَا.

فَمَا أَجْمَلَهَا! وَمَا أَجْمَلَ مُحْتَوَاهَا! وَبِطَرْحِ الكَاتِبِ ازْدَادَ جَمَالُهَا، وَفَاحَ أَرِيجُهَا، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا، وَبَارَكَ فِيهِ، وَفِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ.

وَكَتَبَهُ:

أَبُو سُلَيْمَانَ سَلْمَانُ بْنُ صَالِحٍ العِمَار

يَوْمَ الِاثْنَيْنِ: ٢١ / ذُو القَعْدَةِ / ١٤٤٦هـ

# ٣- تَقْدِيمُ الشَّيْخِ أَبِي حَمْزَةَ عِيسَى بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بِنْ أَحْمَدَ الْمُصَنَّفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ أَوْلِيَاءَهُ لِلسُّلُوكِ عَلَىٰ النَّهْجِ الْقَوِيمِ، وَأَكْرَمَهُمْ بِحُسْنِ الْخِتَامِ، وَرَفَعَ مَنَازِلَهُمْ فِي دَارِ السَّلَامِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ خَيْرِ الْوَرَىٰ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْقَرَارِ.

**أَمَّا بَعْدُ:**

فَقَدْ وَقَفْتُ بِقَلْبٍ وَاجِفٍ، وَعَيْنٍ دَامِعَةٍ، عَلَىٰ رِسَالَةٍ عَذْبَةٍ مُؤَثِّرَةٍ، بِعُنْوَانِ:

"الْعِطْرُ النَّدِيُّ فِي قِصَّةِ صَلَاحِ الْعَدَنِيِّ وَخَالِدِ الْكِنْدِيِّ"

رَحِمَهُمَا اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، بِقَلَمِ الشَّيْخِ الْمُبَارَكِ، السَّلَفِيِّ الْمُفِيدِ، صَاحِبِ الْحَرْفِ الدَّافِقِ، وَالْقَلْبِ الرَّقِيقِ:

فَيْصَلُ بْنُ عُبْدِهِ الْحَاشِدِيُّ

أَبْقَاهُ اللهُ فِي أَلْطَافِهِ، وَأَحَاطَهُ بِعِنَايَتِهِ.

قَرَأْتُهَا قِرَاءَةَ الْمُتَلَهِّفِ، فَوَاللهِ مَا جَفَّتِ الْعَيْنُ مِنَ الْبُكَاءِ، وَلَا بَرَدَ الْقَلْبُ مِنَ التَّأَثُّرِ، صَفَحَاتٌ تَنْضَحُ بِالصَّفَاءِ، وَسِيرَةٌ عَابِقَةٌ بِالْمَحَبَّةِ وَالْوَفَاءِ، وَنَمَاذِجُ تَسْتَحِقُّ أَنْ تُحْكَىٰ فِي زَمَنٍ عَزَّ فِيهِ الْمِثَالُ، وَقَلَّ فِيهِ مَنْ يُقْتَدَىٰ بِهِ.

كُلُّ فِقْرَةٍ مِنْهَا كَانَتْ تَسْبِقُهَا دَمْعَتِي، وَتَلْحَقُهَا زَفْرَةُ وُجْدٍ، حَتَّىٰ حَسِبْتُ أَنَّ أَنْفَاسِي تُلَاحِقُ الْحُرُوفَ، وَأَنَّ قَلْبِي يَرْكُضُ مَعَ السُّطُورِ، شَوْقًا وَتَأَثُّرًا بِقِصَّةِ هَذَيْنِ الْأَخَوَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ.

وَحَسْبُ صَلَاحٍ وَخَالِدٍ - نَحْسِبُهُمَا كَذَلِكَ وَلَا نُزَكِّي عَلَىٰ اللهِ أَحَدًا - أَنَّهُمَا خَتَمَا حَيَاتَهُمَا عَلَىٰ السُّنَّةِ وَالثَّبَاتِ، فِي طَاعَةِ اللهِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَتِلْكَ - وَاللهِ - أَعْظَمُ الْبُشْرَيَاتِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«مَنْ مَاتَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، مَاتَ عَلَىٰ الْخَيْرِ كُلِّهِ».

أَمَّا عَنْ مَعْرِفَتِي بِهِمَا، فَقَدْ عَرَفْتُ فِيهِمَا طِيبَ الْمَعْشَرِ، وَنَقَاءَ السَّرِيرَةِ، وَحُبَّ السُّنَّةِ، وَكِتْمَانَ الْعَمَلِ، وَالتَّوَاضُعَ فِي الْخَيْرِ، مَا لَا أَجِدُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ.

رَأَيْتُ مِنْ آثَارِ أَعْمَالِهِمَا مَا يَدُلُّ عَلَىٰ سَرَائِرَ نَقِيَّةٍ، وَقُلُوبٍ مُطْمَئِنَّةٍ، وَصَدَقَاتٍ خَفِيَّةٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ.

فِي زَمَنٍ صَارَ الْمَعْرُوفُ يُلَاحَقُ بِالْكَمِيرَاتِ، وَيُقَيَّدُ بِالْأَضْوَاءِ، وَضَعُفَ فِيهِ الْإِخْلَاصُ، وَغَلَبَ فِيهِ حُبُّ الذِّكْرِ وَطَلَبُ السُّمْعَةِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

شَهِدْتُ فِيهِمَا عِبَادَةً تَخْشَعُ لَهَا الْقُلُوبُ، وَزُهْدًا يُذَكِّرُ بِالزَّاهِدِينَ، وَجِدًّا فِي الطَّاعَةِ يُلْهِمُ الْمُقَصِّرِينَ، نَحْسِبُهُمَا كَذَلِكَ، وَاللهُ حَسِيبُهُمَا.

وَلَكَمْ تَذَكَّرْتُ وَهْجَ الْخَفَاءِ فِي سُؤَالَاتِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

هَلْ لَكَ سِرٌّ عِنْدَ اللهْ ... بَيْنَكَ أَنْتَ وَبَيْنَ اللهْ؟
هَلْ لَكَ صَدَقَاتٌ تُخْفَىٰ ... لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهْ؟
قَصَصٌ لَا تُكْشَفُ إِلَّا ... بِكِتَابِكَ إِذْ تَلْقَىٰ اللهْ؟
مَا أَحْرَاكَ بِهَذَا أَنْ ... يَكْبُرَ قَدْرُكَ عِنْدَ اللهْ!

اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبْدَيْكَ صَلَاحَ الْعَدَنِيَّ وَخَالِدَ الْكِنْدِيَّ، وَارْفَعْ دَرَجَتَيْهِمَا فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُمَا فِي عَقِبِهِمَا فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُمَا، وَاجْمَعْنَا بِهِمَا فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَىٰ، بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا سَابِقَةِ عَذَابٍ.

كَتَبَهُ رَاجِيًا عَفْوَ مَوْلَاهُ وَغُفْرَانَهُ:
أَبُو حَمْزَةَ عِيسَى بْنُ عَبْدِالسَّلَامِ بن أَحْمَدَ الْمُصَنِّفُ
غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ، وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ.
٢٣/ ذُو الْقَعْدَةِ/ ١٤٤٦هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# المُقَدِّمَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَهذِهِ نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ عَامَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، عُرِفَا بِالثَّبَاتِ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَالْوَفَاءِ فِي الصُّحْبَةِ، وَهُمَا: صَلَاحُ الْعَدَنِيُّ، وَخَالِدُ الْكِنْدِيُّ.

فِي سِيرَتِهِمَا عِبْرَةٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ، وَمِثَالٌ نَادِرٌ فِي الْوَفَاءِ وَالتَّآخِي فِي اللهِ، فَقَدْ جَمَعَتْهُمَا الْمَحَبَّةُ الصَّادِقَةُ، وَالتَّنَاصُحُ الْمُسْتَمِرُّ، وَالتَّرَاحُمُ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْجَفَاءَ، حَتَّىٰ صَارَ كُلٌّ مِّنْهُمَا مِرْآةً لِأَخِيهِ.

وَقَدْ أُكْرِمَا بِكَثِيرٍ مِّنْ دَلَائِلِ الْخَيْرِ، وَأَعْظَمُ مَا أُكْرِمَا بِهِ: الثَّبَاتُ عَلَىٰ السُّنَّةِ حَتَّىٰ لَقِيَا رَبَّهُمَا.

وَإِنَّهَا لَكَرَامَةٌ مَا بَعْدَهَا كَرَامَةٌ، إِذْ مَنْ مَاتَ عَلَىٰ السُّنَّةِ فَقَدْ مَاتَ عَلَىٰ الْخَيْرِ كُلِّهِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حِينَ سَأَلَهُ الْمَرُّوذِيُّ، كَمَا فِي سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ (١١/ ٢٩٦):

قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِاللهِ: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، أَمَاتَ عَلَىٰ خَيْرٍ؟».

فَقَالَ: «اسْكُتْ، بَلْ مَاتَ عَلَىٰ الْخَيْرِ كُلِّهِ».

رَحِمَ اللهُ صَلَاحًا وَخَالِدًا، وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يَلْزَمُونَ السُّنَّةَ حَتَّىٰ الْمَمَاتِ.

والْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ.

**وكَتَبَهُ: أَبُو عَبْدِاللَّهِ فَيْصَلُ الْحَاشِدِيّ**

**في يومِ العِشْرِينَ من ذي القعدة، سنةَ ستٍّ وأربعينَ وأربعمئةٍ وألفٍ للهجرة.**

أدبٌ لا يُنسى، وأثرٌ لا يُمحى

## اِسْتِهْلالٌ

كانَ صَلاحُ العَدَنيُّ، وخالِدُ الكَندِيُّ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ يُواصِلانِ التَّواصُلَ بي حتّىٰ قَبيلَ رَحيلِهِما بِيَومٍ واحِدٍ، وكُنتُ - وما زِلتُ- أتعَجَّبُ مِن جَمالِ أَدَبِهِما، ورقَّةِ مَشاعِرِهِما؛ فَقَدْ كانَتْ كَلِماتُهُما تَنبُضُ بِالحَياةِ، تَحمِلُ في طَيّاتِها صِدقًا نادِرًا، وعمقًا يَأسِرُ القَلبَ.

لَمْ تَكُنْ حُروفُهُما تُكتَبُ، بَلْ تُسكَبُ سَكبًا مِن أَرواحٍ شَفّافَةٍ، تُلامِسُ شَغافَ القَلبِ، وتَترُكُ فيهِ أَثَرًا لا يُمحىٰ.

وما يُصَمِّمانِهِ - لي أو لِغَيري - كانَ يَأخُذُ طَريقَهُ مُباشَرَةً إلىٰ القُلوبِ، كأَنَّهُ يُلبِسُ الإبداعَ روحًا، ويَزرَعُ في كُلِّ تَفصيلَةٍ مَعنًىٰ.

رَحَلا، لكنّهُما تَركا خُيوطًا مِن النُّورِ تمتدُّ بينَنا، تُذَكِّرُنا أنَّ الكَلِمَ الصادقَ لا يَموت، وأنَّ مَن يَسكُنُ الأرواحَ لا يَغيب. هُما الآنَ في ضِياءِ الرَّبِّ، لكنَّ صَداهُما باقٍ فينا: أدبٌ لا يُنسىٰ، وأثرٌ لا يُمحىٰ.

## ١- لَمحَاتٌ عَطِرَة مِنْ حياة صَلاحِ العَدَنِيِّ

يَقُولُ عَنْهُ صَدِيقُهُ الرَّاحِلُ، خَالِدُ الكَنْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَقَدْ أَثْقَلَ قَلْبَهُ الحَنِينُ، وَبَلَّلَتْ كَلِمَاتِهِ العَبَرَاتُ:

طَلَبَ مِنِّي كَثِيرٌ مِنْ أَحِبَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنْ أَكْتُبَ نُبْذَةً يَسِيرَةً عَنْ أَخِي الحَبِيبِ، المُبَارَكِ، أَبِي تَيْمِيَّةَ صَلَاحِ العَدَنِيِّ - غَفَرَ اللهُ لَهُ - لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ قُرْبِي إِلَيْهِ، فَقَدْ كُنْتُ مِنْ أَلْصَقِ النَّاسِ بِهِ، عِشْتُ مَعَهُ مَا يُقَارِبُ الثَّمَانِيَ سِنِينَ.

وَمُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَأَنَا أَقْبِضُ القَلَمَ، ثُمَّ أَتْرُكُهُ، تَارَةً يَخْتَنِقُ الحَرْفُ فِي صَدْرِي، وَتَارَةً تَأْبَىٰ أَنَامِلِي أَنْ تَكْتُبَ، فَكَأَنَّ البَنَانَ يَنُوحُ مَعِي... وَلَكِنِّي أَسْتَعِينُ بِاللهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

فَيَا صَلَاحُ... أَيُّهَا الرَّاحِلُ المُضِيءُ، مَا زَالَ طَيْفُكَ حَاضِرًا فِي تَفَاصِيلِ أَيَّامِي، وَمَا زَالَ دِفْءُ إِخَائِكَ يَهْمِسُ فِي الذَّاكِرَةِ، وَهَا أَنَا أُحَاوِلُ أَنْ أَفِيكَ بَعْضِ مَا يَلِيقُ بِكَ، وَأُتَرْجِمَ نَبْضَ الوَفَاءِ لَكَ حَرْفًا، رَغْمَ أَنَّ كُلَّ الحُرُوفِ تَضِيقُ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تُجَارِيَ مَقَامَكَ.

## ٢- صَلاحُ العَدَنِيُّ... نَبْضُ القَلْبِ، وَأَثَرُ الصَّالِحِينَ

هُوَ أَبُو تَيْمِيَّةَ صَلَاحُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ العَدَنِيُّ، مِنْ أَهَالِي مَدِينَةِ عَدَنٍ الطَّيِّبَةِ، وُلِدَ يَتِيمًا مِنْ حَنَانِ الأُمِّ، إِذِ اخْتَطَفَهَا المَوْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَهُوَ لَمْ يُكْمِلْ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ مِنْ عُمْرِهِ، فَاحْتَضَنَتْهُ أُمُّ جَابِرٍ، وَرَبَّتْهُ، فَكَانَتْ لَهُ أُمًّا بَعْدَ أُمِّهِ، جَزَاهَا اللهُ عَنْ حُسْنِ صَنِيعِهَا رَحْمَةً وَرِضْوَانًا.

جَاءَنَا يَوْمًا فَتًى نَحِيلَ الجَسَدِ، غَضَّ المَلَامِحِ، لَمْ يَبْلُغِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، يَحْمِلُ بِيَدَيْهِ الصَّغِيرَتين أَثْقَالَ الرِّجَالِ، يَعْمَلُ فِي مَصْنَعٍ بَيْنَ القَاعِدَةِ وَالحَوْبَانِ، يُنْقِلُ البَضَائِعَ مِنَ المَخَازِنِ إِلَىٰ السَّيَّارَةِ، دُونَ تَذَمُّرٍ وَلَا كَلَلٍ، يَعْلُو وَجْهَهُ صَفَاءُ طِيبٍ، وَتُضِيءُ عَيْنَاهُ نِيَّةٌ صَادِقَةٌ، وَهِمَّةٌ تُعَانِقُ السَّحَابَ.

كَانَ قَلْبُهُ أَبْيَضَ كَقِطْعَةِ سَحَابٍ مَرَّتْ بِأَرْضٍ عَطْشَىٰ، وَنَفْسُهُ نَقِيَّةً لَمْ تَشُبْهَا شَوَائِبُ الدُّنْيَا، مُؤْمِنًا بِتِلْقَائِيَّةٍ لَا تَصَنُّعَ فِيهَا، أَمِينًا لَا يَعْرِفُ الخِيَانَةَ، دَقِيقًا لَا يُفَرِّطُ فِي أَمَانَتِهِ، يَعْمَلُ بِجِدٍّ وَإِتْقَانٍ لَا يُدَانِيهِ فِيهِ أَحَدٌ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ حَامِلًا صَنَادِيقَ البَضَائِعِ، حَسِبْتَهُ فِي مَهَمَّةٍ عَظِيمَةٍ، كَأَنَّمَا يَحْمِلُ رِسَالَةً، لَا مُجَرَّدَ حِمْلٍ.

أَحَبَّهُ كُلُّ مَنْ عَرَفَهُ، أَحَبَّهُ المُدِيرُ، أَحَبَّهُ الزُّمَلَاءُ، أَحَبَّهُ النَّاسُ، وَكُلَّمَا جَاءَ طَالِبُ عَمَلٍ، قَالَ المُدِيرُ: «يَكْفِينَا صَلَاحٌ»، حَتَّىٰ ارْتَقَىٰ مَعَ الأَيَّامِ، مِنْ عَامِلٍ بَسِيطٍ إِلَىٰ مُدِيرٍ لِلمَخَازِنِ، بَلْ إِلَىٰ أَمِيرٍ فِي القُلُوبِ، فَمَا عَرَفْنَاهُ إِلَّا خَيْرًا، وَلَا سَمِعْنَا مِنْهُ إِلَّا صِدْقًا، وَلَا رَأَيْنَاهُ إِلَّا فِي طَاعَةٍ.

ثُمَّ ابْتُلِيَ بِفَقْدٍ ثَقِيلٍ، حِينَ غَادَرَ أَخُوهُ جَابِرٌ الحَيَاةَ، بَعْدَ صِرَاعٍ مَعَ سَرَطَانِ المَعِدَةِ، وَكَانَ جَابِرٌ أَخًا وَسَنَدًا، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ، سَلَفِيًّا مُتَوَاضِعًا، يَحُثُّ صَلَاحًا عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ، وَيُعَلِّمُهُ التَّصْمِيمَ؛ لِيَخْدِمَ الدِّينَ وَيَخْدِمَ الرِّسَالَةَ.

وَكُلَّمَا أَنْهَكَهُ التَّصْمِيمُ، قَالَ: «اللهُ يُسَامِحُكَ يَا جَابِرُ، أَنَا مَا عِنْدِي صَبْرُكَ... أَحُكُّ رَأْسِي! شَغَلْتَنِي بِشَيْءٍ لَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ أَبْدَأُ!».

وَكَانَ يَقُولُ لِي: «القَنَاةُ أَمَانَةُ جَابِرٍ يَا خَالِدُ، أَدْخَلَنِي بَيْنَ نَاسٍ لَا أَعْرِفُهُمْ، وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ، كَلَامُهُمْ غَرِيبٌ عَلَيَّ، لَكِنْ هُنَاكَ رَجُلٌ اسْمُهُ عِيسَىٰ المُصَنِّفُ، ارْتَاحَ لَهُ قَلْبِي مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ سَمِعْتُهُ».

ثُمَّ تَغَيَّرَ حَالُهُ، وَصَارَ كَثِيرَ البُكَاءِ، لَا يَرْفَعُ الجَوَّالَ إِلَّا وَالدَّمْعَةُ تَسْبِقُهُ، وَذَاتَ يَوْمٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَإِذَا بِالحُزْنِ يَعْصِرُ قَلْبَهُ، فَقَالَ لِي: «يَا خَالِدُ، سَأَتْرُكُ العَمَلَ... مَا عُدْتُ أُرِيدُ شُغْلًا». قُلْتُ لَهُ: «مَالَكَ يَا صَلَاحُ؟» قَالَ: «أُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَىٰ عَدَنَ، إِلَىٰ الشَّيْخِ مَاهِرٍ الشَّاذِلِيِّ، أَطْلُبُ العِلْمَ».

فَكَلَّمْتُ المُدِيرَ، فَحَزِنَ، وَقَالَ: «صَلَاحٌ؟ لَا، لَا... هُوَ لَا يُرِيدُ الرَّحِيلَ، يُرِيدُ زِيَادَةً!» قُلْتُ لَهُ: «يُرِيدُ العِلْمَ، يُرِيدُ الرَّحِيلَ فِي طَلَبِ الآخِرَةِ». فَقَالَ: «هَاتِ لِي مَنْ يُعَوِّضُنِي بِصَلَاحٍ! سِتَّةُ أَشْهُرٍ أَوْ حَتَّىٰ ثَلَاثَةٌ، ثُمَّ اذْهَبْ يَا صَلَاحُ حَيْثُ تَشَاءُ... وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ فِي أَمَانَتِكَ، وَصِدْقِكَ، وَأَخْلَاقِكَ».

طَلَبَ صَلَاحٌ أَنْ يُعْطَىٰ إِجَازَةً فِي رَمَضَانَ، فَوَافَقَ المُدِيرُ بِشَرْطِ أَنْ يُكْمِلَ الشَّهْرَ، وَيَأْخُذَ نِصْفَ شَوَّالٍ إِجَازَةً، وَأَذِنَ لَهُ بِالاعْتِكَافِ فِي مَسْجِدِ المَصْنَعِ.

كَانَ يُصَلِّي بِنَا التَّرَاوِيحَ وَالقِيَامَ، وَيَبْكِي بُكَاءً يُحَرِّكُ القُلُوبَ، حَتَّىٰ أُغْمِيَ عَلَيْهِ مَرَّةً مِنْ شِدَّةِ التَّأَثُّرِ.

فَسَأَلْتُهُ: «مَا بِكَ يَا صَلَاحُ؟ لَقَدْ تَغَيَّرْتَ مُنْذُ دَخَلْتَ فِي طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَمْ تَعُدْ تُفَكِّرُ فِي الدُّنْيَا!» فَقَالَ: «لَا أُرِيدُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا، أُرِيدُ الآخِرَةَ، أُرِيدُ رِضَىٰ اللهِ».

ثُمَّ جَاءَهُ رَمَضَانُ، وَمَا إِنِ انْتَهَىٰ حَتَّىٰ اسْتَعَدَّ لِلسَّفَرِ، لَكِنَّهُ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ تَهُزُّ الجِبَالَ، فَقَدْ تُوُفِّيَتْ زَوْجَتُهُ فِي نِفَاسِهَا، ثُمَّ لَحِقَ بِهَا وَلَدُهُ، فَجَلَسَ يَبْكِي حَتَّىٰ تَقَطَّعَتْ أَفْئِدَتُنَا عَلَيْهِ، وَقَالَ: «كُنْتُ أَنْتَظِرُ خُرُوجَ وَلَدِي، فَإِذَا بِجَنَازَةِ زَوْجَتِي تَخْرُجُ... يَا خَالِدُ، مَاتَ جَابِرٌ فِي شَعْبَانَ، وَمَاتَتْ زَوْجَتِي وَوَلَدِي فِي شَوَّالٍ... وَمَا أَخَذْتُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا!».

ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ الإِجَازَةِ، وَرَأَيْتُ عَلَيْهِ مَسْحَةً مِنْ نُورٍ وَحُزْنٍ، وَإِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَجَدْتُهُ يَبْكِي، فَقُلْتُ: «لَعَلَّهَا زَوْجَتُكَ»، فَقَالَ: «لَا، لَا يَا خَالِدُ، لَا أَبْكِي زَوْجَتِي، وَلَا وَلَدِي، وَلَا أَخِي، أَنَا أَبْكِي نَفْسِي! أَنَا ضَيَّعْتُ عُمْرِي فِي اللَّهْوِ، مَا حَفِظْتُ القُرْآنَ، وَلَا طَلَبْتُ العِلْمَ، وَسَأُسْأَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي عُمْرِكَ؟!».

فَكَانَ طَيِّبَ القَلْبِ، تَتَمَلَّكُهُ الخَشْيَةُ، وَتُسَابِقُهُ العَبْرَةُ، يَتَأَثَّرُ بِمَوَاعِظِ المَشَايِخِ كَثِيرًا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَجَعَلَ لَنَا فِيهِ عِبْرَةً وَمَوْعِظَةً.

قلتُ: هذا يُذَكِّرُني بِقَولِ أُستاذِنا العِمادِ، حَفِظَهُ اللهُ:

رِجالٌ تَخافُ المَوْتَ، لا مِن مَهابَةٍ ... وَلَكِنْ لِما قَدْ فاتَ مِن عُمْرِهِمْ سُدَىٰ

يَخافُونَ بَعْدَ المَوْتِ أَيْنَ مَصيرُهُمْ ... يَكونُ نَعيمًا أَمْ عَذابًا مُخَلَّدا

## ٣- قِصَّةُ رُوحٍ رَحَلَتْ، وَلَمْ تَرْحَلْ

أمَّا حِكَايَتي معه، فليست ككلِّ الحكايات، إنَّها روايةٌ صامتة ... كتبها الحُزن بالحِبرِ الدَّافق من قلبٍ مكلومٍ.

كنتُ كُلَّما ضاق صدري من حاله، تركتُه ... وظننتُ أنَّه عليلُ النفسِ، سقيمُ الوجدان، من فرطِ ما رأيتُ من بكائِه وانكساره. كنتُ أدخل عليه، فأجدُه غارقًا في جوَّاله، السَّماعةُ في أُذنيه، لا ينفكُّ عنها ... في الشارع، في العمل، في المكتب، حتىٰ في لُقمته وكوب مائه. كان يَسهرُ الليالي الطويلة، يُصمِّمُ لهذا، وينشر لذاك، ويُسابقُ الوقتَ وكأنَّه في سباقٍ مع الأجل.

وكان يُوقظني في جوفِ الليل:

- «خالد ... نائم؟ قُم إلىٰ الصلاة».

فأُجيبُه: «قد صليتُ قبل أن أنام!».

فيردُّ بحنانٍ عجيب:

- «طيب، قُم صمِّم معي».

كنتُ أتعجَّبُ من أمره، وألومُه أحيانًا: «الآن تتَّصل؟ آخر الليل؟!».

فكان يَهمِسُ بصوتهِ الهادئ:

- «يا خالد ... وللآخرةُ خيرٌ من الأولىٰ».

ورغم ضيقي، كنتُ أحيانًا أقوم ... رحمةً به، لا امتثالًا لكلماته. أراه يُصوِّرُ يدَه وقد غُرِزَتْ بها الإبر، ويقول لي: «لا تقلق، أنا بخير...» وكنتُ أشفِقُ عليه، وأُغلِقُ هاتفي أحيانًا؛ كي لا يصلني صوتُه... وأقول له: «متىٰ تنام؟ متىٰ تأكل؟».

فيبتسم ويقول:

- «أكلتُ ونمتُ وشربتُ ثلاثًا وعشرين سنة ... الآن وجب أن أعيش لله. فكلُّ تصميمٍ ... أكلُه، وكلُّ منشورٍ ... شرابه، وكلُّ صورةٍ ... صلاةٌ خفيَّة».

وكانت أُمُّه رَحِمَهَا ٱللَّهُ تُلِحُّ عليه أن يتزوَّج زوجةَ أخيه، تقول له: «احفَظْ أولادَ أخيك، فإنَّك أَولىٰ بهم، ومالُهم مالُك».

فيَهمِسُ إليها وهو حزين: «يا أُمِّي، ماتت زوجتي، وابني، لا تَربطيني بدُنيا. أنا ذاهبٌ لأطلبَ العلم، وبعدها افعلي ما شئتِ».

ولم تَمَلَّ أُمُّه ... حتىٰ قبل شهرين، قالت له بصوتٍ مُتهدِّج: «يا صلاح، أفرحني بك، اطمئنَّ علىٰ أولادِ أخيك».

فقال لها وقد ابتسم وجهُه: «الخميس آتيكِ يا أُمِّي، ولكِ ما تشائين».

كنتُ بقربه لحظتَها، فسألتُه: «مالكَ فرحٌ هكذا؟».

فقال: «اليوم ... دعتْ لي أُمِّي دعوةً أثلجتْ صدري!».

قلتُ: «ما هي؟»

قال: «قالتْ لي: الله يُكرمك بالجنة يا صلاح، ويمسح عن قلبك كلَّ همٍّ من الدنيا».

ولم تَكد تمضي سويعات، حتىٰ رنَّ هاتفُه في الثالثة عصرًا...

جاءه صوتٌ كسيفٍ علىٰ صوتِه:

- «يا صلاح... أُمُّك ماتت!»

فتجمَّد في مكانه، شحَب لونُه، وتهاوىٰ صوتُه...

وقُمْتُ أنثُرُ عليهِ الماء، وهمستُ إليه، فرفع رأسَه إلىٰ السماء، وقال بصوتٍ مزَّقني:

- «يا ربِّ... أخذتَ جابرًا، وزوجتي، وابني... هل رضيتَ؟ خُذْ مني ما تشاء... حتىٰ ترضىٰ».

ثمَّ سقط مغشيًّا عليه... كانت نوبةَ السُّكَّر الأولىٰ في حياته. أفاق منها باكيًا، وناولني جوَّاله:

- «خُذْ، صمِّم، لا تتوقَّف... لا تُوقِف الرسالة!».

قلتُ له: «ما هذا الجنونُ؟! ما اسمُك حتىٰ؟!».

أنا لا عِلْمَ لي ولا أعْرِفُ شيئًا وتريدني أن أكون مجنونًا مِثْلَكَ

جَوَّالٌ وتصميمٌ!

قال: «سجِّلِ القناةَ باسمي... وامضِ في الطريق!».

ثم أرسل إليَّ تلك الليلة رسالةً سطَّرها بالدَّمع، قال فيها:

«يا خالد، أنا لستُ مريضًا نفسيًّا، ولا مُدمِنَ جوَّال... بل أحببتُ أُناسًا أطهارًا، صافين، بكلامِهم عرفتُ ربِّي، وأنار الله لي بهم طريقي... هل مَن أحبَّ الله صار مريضًا؟! أنا أُحبُّهم ... لأنَّهم لا يُريدون منَّا إلَّا الجنة. استمِعْ لخُطبِهم، لمحاضراتهم، لمواعظِهم ... تجدْ نفسَك كأنَّك بين يدي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. يا خالد ... اقتربْ منهم، ستشعرْ بقيمةِ الحياة. لقدِ اختارني الله لأُحبَّهم، فابتلاني ليُقرِّبني إليهم ...

وكلُّ تصميمٍ أُصمِّمُه، أضعُ فيه قلبي قبل أن أضعَ فيه صورةً أو كلمة. يا خالد ... اقتربْ... فواللهِ لن تندم».

ولم يكن حبُّه كلامًا فقط... بل أفعالٌ تُجسِّده، ودموعٌ تُخلِّده، ووفاءٌ لا يُضاهيه وفاءٌ.

## ٤- قِصَّةُ الرِّقَّةِ وَالوَفَاءِ

يَقُولُ صَدِيقُهُ الرَّاحِلُ خَالِدُ الكِنْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَهُ مَعَ وَلَدِي سُلَيْمَانَ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ، وَأَبْلَغُ مَوْعِظَةٍ كَانَتْ فِي كَفَالَةِ البِنْتِ اليَتِيمَةِ، فَقَدْ أَثَّرَتْ فِيَّ تَأْثِيرًا بَالِغًا، فَعِندَمَا اسْتَلَمْتُ جَوَّالَ صَلَاح، عَرَفْتُ أَيْنَ كَانَ يَذْهَبُ بِمَالِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ. وَلَوْلَا خَوْفِي مِنَ الإِمْلَالِ، لَذَكَرْتُ كُلَّ شَيْءٍ، فَقَدْ كَانَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ ... وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

وَإِنْ شَاءَ اللهُ أَكْتُبُ عَنْهُ أَكْثَر، فَهُنَاكَ أَشْيَاءُ لَا تُطَاوِعُنِي بَنَانِي أَنْ أَكْتُبَهَا الآن، وَكُلَّمَا أَهَمُّ بِكِتَابَتِهَا ... تَخْنُقُنِي دُمُوعِي.

وَإِنْ شَاءَ اللهُ ... نَجْمَعُ نَصَائِحَهُ، وَنَعْمَلُ عَلَىٰ نَشْرِهَا(١).

(١) كانتْ تِلْكَ اللَّمْحَةُ العَطِرَةُ مِمَّا دَوَّنَهُ خَالِدُ الكِنْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِنْ سِيرَةِ خَالِدِ العَدَنِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وَكَانَ ذَلِكَ بِطَلَبٍ مِنِّي، فَاسْتَجَابَ لِذَلِكَ، وَظَلَّتْ عِندِي حَتَّىٰ أَنْشُرَهَا اليَوْمَ بَعْدَ تَغْيِيرِ بَعْضِ العِبَارَاتِ العَامِّيَّةِ، مَعَ الإِبْقَاءِ عَلَىٰ رُوحِ القِصَّةِ كَمَا هِيَ. غَيْرَ أَنَّهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمْ يَسْتَوْفِ كِتَابَةَ الفَوَائِدِ كَمَا وَعَدَ، إِذْ لَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ صَاحِبِهِ إِلَّا شَهْرًا، ثُمَّ لَحِقَ بِهِ.

## ٥- قِصَّةُ العَارِفِ المَجْهُولِ

يَقُولُ صَدِيقُهُ الرَّاحِلُ خَالِدٍ الكَنْدِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِي يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ، كُنتُ جَالِسًا مَعَ صَلَاح - رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ - إِذْ بِهِ يُفَاجِئُنِي بِنَوْبَةِ بُكَاءٍ مُبَاغِتَةٍ، فَصَمَتُّ، لَمْ أُرِدْ أَنْ أُقَاطِعَ نَشِيجَ قَلْبِهِ، ظَنَنْتُهُ يَتَذَكَّرُ أَحِبَّةً رَحَلُوا، أَوْ أَيَّامًا مَضَتْ، فَتَرَكْتُهُ يَبْكِي؛ عَسَاهُ يَجِدُ فِي الدَّمْعِ رَاحَةً لِقَلْبِهِ، لَكِنَّ نَحِيبَهُ اشْتَدَّ، وَصَوْتَهُ ارْتَفَعَ حَتَّىٰ أَفْزَعَنِي! فَسَأَلْتُهُ: مَا بِكَ يَا صَلَاح.

فَأَجَابَنِي بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ:

دَخَلْتُ عَلَىٰ أَحَدِ الإِخْوَةِ مِمَّنْ يُبْدِعُونَ فِي تَصْمِيمِ المَقَاطِعِ الدَّعَوِيَّةِ، وَكُنْتُ أَرْجُو مِنْهُ أَنْ يُعَلِّمَنِي بَعْضَ الأُمُورِ الفَنِّيَّةِ، فَقُلْتُ لَهُ - عَبْرَ الرَّسَائِلِ - : «مَعَكَ صَلَاح العَدَنِي، المُشْرِفُ عَلَىٰ قَنَاةِ أُسُودِ السُّنَّةِ، أَرْجُو أَنْ تُرْسِلَ لِي أَسْمَاءَ المَشَايِخِ مُزَخْرَفَةً، وَتُعَلِّمَنِي شَيْئًا مِنْ فَنِّكَ».

فَجَاءَنِي رَدٌّ بَارِدٌ جَامِدٌ: «أَنْتَ مَجْهُول! لَا نَعْرِفُ مَنْ أَنْتَ، وَلَا حَالَكَ، وَلَسْتَ طَالِبَ عِلْمٍ فِي أَيِّ مَرْكَزٍ! وَلَا يَعْرِفُكَ أَحَدٌ مِنَ المَشَايِخِ».

يَوْمَهَا خَرَجْتُ مُنْكَسِرًا، أَمْشِي وَخُيُوطُ قَلْبِي تَنْسَلُّ مِنْ بَيْنِ أَضْلَاعِي، وَدُمُوعِي تُسَابِقُ خُطَايَ. رَفَعْتُ كَفِّي إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَبَكَيْتُ كَمَا لَمْ أَبْكِ مِنْ قَبْلُ، وَقُلْتُ:

«يَا رَبِّ... أَنَا مَجْهُولٌ فِي الأَرْضِ، وَلَكِنَّكَ أَنْتَ مَنْ يَعْرِفُنِي.

يَا رَبِّ... إِنْ خَفِيتُ عَنْ خَلْقِكَ، فَمَا خَفِيتُ عَنْكَ.

أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ، وَأُحِبُّ مَشَايِخِي، وَأُحِبُّ السُّنَّةَ وَأَهْلَهَا،

وَلَكِنَّ الطُّرُقَ أُغْلِقَتْ، وَلَمْ يُقَدَّرْ لِي طَلَبُ العِلْمِ فِي المَرَاكِزِ.

فَكُنْ لِي، يَا رَبِّ، وَوَفِّقْنِي، وَخُذْ بِيَدِي، فَإِنِّي لَا أَرْجُو إِلَّا وَجْهَكَ».

وَكَانَ يَدْعُو بِكَلِمَاتٍ تَقْشَعِرُّ لَهَا الجُلُودُ، وَتَرِقُّ لَهَا الحِجَارَةُ، وَتَكَادُ تَنْخَلِعُ لَهَا القُلُوبُ.

## ٦- وَمَاتَ صَلاحٌ... وَكَانَ مَوْتُهُ حَيَاةً!

يَقُولُ صَدِيقُهُ الرَّاحِلُ خَالِدُ الكِنْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رَحِمَكَ اللهُ يَا صَلَاحُ، مَا أَعْجَبَ شَأْنَكَ! مِتَّ وَمَضَيْتَ، فَخِلْتُكَ غِبْتَ، وَمَا غِبْتَ! بَلْ حَضَرْتَ فِي الْقُلُوبِ حُضُورًا لَا يَزُولُ، وَامْتَدَّ أَثَرُكَ حَيْثُ لَا تَدْرِي.

مَضَيْتَ بِلَا ضَجِيجٍ، مَجْهُولًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ، مَعْرُوفًا فِي السَّمَاءِ... وَمَا إِنْ أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ، حَتَّىٰ تَتَابَعَتِ الْأَلْسُنُ تَلْهَجُ بِالدُّعَاءِ، وَالْعُيُونُ تَفِيضُ بِالْبُكَاءِ.

حَتَّىٰ بَعْضُ الْمَشَايِخِ الْكِرَامِ - وَهُمْ أَهْلُ فِقْهٍ وَفَضْلٍ - رَقَّتْ قُلُوبُهُمْ لِفِقْدِكَ، وَقَالَ لِي أَحَدُهُمْ وَالدَّمْعَةُ تَخْنُقُ صَوْتَهُ:

«وَاللهِ يَا خَالِدُ، إِنِّي لَأَفْتَقِدُ صَلَاحًا! وَلَعَلَّ اللهَ قَبِلَهُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ: يَا رَبِّ، أَنَا مَجْهُولٌ فِي الْأَرْضِ، وَأَنْتَ وَحْدَكَ تَعْرِفُنِي!».

رَحِمَ اللهُ صَلَاحًا وَغَفَرَ لَهُ... أَخْلَصَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، فَرَفَعَهُ اللهُ بِمَا لَمْ يَرْفَعْ بِهِ أَقْوَامًا طَالَمَا طَافُوا بِحِلَقِ الْعِلْمِ، وَسَعَوْا فِي طَلَبِهِ، وَمَا نَالُوا مِنَ الْقَبُولِ مَا نَالَ... وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

## ٧- وَكَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا بِالرَّحِيلِ

يَقُولُ صَدِيقُهُ الرَّاحِلُ خَالِدُ الكِنْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مِنْ أَعْجَبِ مَا رَأَيْتُ، أَنَّهُ كَانَ يَتَصَرَّفُ وَكَأَنَّهُ مُوَدِّعٌ لِهَذِهِ الدُّنْيَا، كَأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الرِّحَالَ سَتُطْوَىٰ قَرِيبًا. لَا يَأْنَسُ بِزُخْرُفٍ، وَلَا يُكْثِرُ مِنَ الشَّكْوَىٰ، إِنَّمَا يَمْضِي فِي صَمْتٍ، يَزْرَعُ فِي الْخَفَاءِ، وَيَتْرُكُ الْحَصَادَ لِلسَّمَاءِ.

وَاللهِ، لَقَدْ أَذْهَلَنِي مَا وَجَدْتُ فِي هَاتِفِهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَمِيمِ! مَقَاطِعُ دَعَوِيَّةٌ، وَمَنْشُورَاتٌ نَافِعَةٌ، وَتَصْمِيمَاتٌ مُشَبَّعَةٌ بِالنِّيَّةِ، كَأَنَّهُ يُسَابِقُ الْمَوْتَ لِيَتْرُكَ أَثَرًا لَا يَذْبُلُ.

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي، مَا السِّرُّ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ؟! مَا ذَاكَ النَّبْعُ الَّذِي لَا يَرَاهُ النَّاسُ، وَيَغْتَرِفُ هُوَ مِنْهُ؟!

ذَاكَ سِرٌّ، أَبْكَىٰ النَّاسَ عَلَيْهِ... مَنْ عَرَفَهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ، مَنْ قَرُبَ مِنْهُ، وَمَنْ اكْتَفَىٰ بِصَوْتِهِ فِي الْأَثِيرِ. بَكَاهُ الْكِبَارُ وَالصِّغَارُ، وَالشُّيُوخُ وَطَلَبَةُ الْعِلْمِ، وَالْعَوَامُّ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْهُ قَطُّ.

وَتِلْكَ - بِإِذْنِ اللهِ - عَاجِلُ بُشْرَىٰ الْمُؤْمِنِ.

رَحِمَكَ اللهُ يَا صَلَاحُ.

## ٨- وَصِيَّتُهُ... وَنَبْضُ قَلْبِهِ قَبْلَ الْفِرَاقِ

أَخِي الْحَبِيبَ السُّنِّيَّ السَّلَفِيَّ الْمُبَارَكَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ...

هَا أَنَا عَلَىٰ أَعْتَابِ دُخُولِ التَّحْدِيرِ، وَفِي هَذِهِ السَّاعَاتِ الْيَسِيرَاتِ، أَكْتُبُ إِلَيْكَ وَقَلْبِي مُمْتَلِئٌ بِالْقَلَقِ، وَالْخَوْفِ، وَالتَّوَتُّرِ...

فَإِنْ كَانَتِ الْعَمَلِيَّةُ السَّابِقَةُ قَدْ مَرَّتْ بِلُطْفِ اللهِ، وَتَيَسَّرَتْ بِرَحْمَتِهِ، وَشَفَانِي مِنْهَا بِقُدْرَتِهِ، فَذَلِكَ - بَعْدَ فَضْلِهِ- بِدُعَائِكُمْ، وَدُعَاءِ إِخْوَانِي وَمَشَايِخِي، الَّذِينَ كُنْتُ أَتَمَنَّىٰ لِقَاءَهُمْ يَوْمًا مَا.

وَاللهِ يَا أَخِي الْمُبَارَكُ، إِنَّ فِي هَذِهِ اللَّحَظَاتِ حَسَرَاتٍ تَتَفَجَّرُ فِي قَلْبِي، عَلَىٰ سِنِينَ ضَيَّعْتُهَا بَعِيدًا عَنِ السُّنَّةِ وَأَهْلِهَا، بَعِيدًا عَنِ الْخَيْرِ وَالْهُدَىٰ. وَلَكِنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي مَنَّ عَلَيَّ بِهَذَا الْبَلَاءِ الَّذِي - وَإِنْ كَانَ مُرًّا- فَقَدْ فَتَحَ لِي أَبْوَابًا مِنَ النُّورِ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ تَكُونَ سَبِيلًا إِلَىٰ دَارٍ لَا فَقْدَ فِيهَا، وَلَا مَرَضَ، وَلَا بَلَاءَ، وَلَا أَلَمَ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ابْتَلَانِي فِي صِحَّتِي وَعَافِيَتِي، وَفِي فَقْدِ أَهْلِي، وَفِي مَالِي، وَلَكِنَّهُ مَنَّ عَلَيَّ بِحُبِّ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَفَتَحَ لِي أَبْوَابَ السَّعَادَةِ، وَجَعَلَ فِي قُلُوبِ إِخْوَانِي وَمَشَايِخِي مَحَبَّةً لِي، وَلَمْ يَجْعَلْ بَلَائِي فِي دِينِي، وَهُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَفَلَاحِي فِي حَيَاتِي، وَنَجَاتِي - إِنْ تَقَبَّلَ اللهُ أَعْمَالِي- بَعْدَ مَمَاتِي.

أَمَّا أَنْتَ، يَا أَخِي الْمُبَارَكُ، فَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَتَعْصِفُ بِكَ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَاصْبِرْ عَلَيْهَا، وَتَمَسَّكْ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَإِذَا نَزَلَتْ بِكَ الشَّدَائِدُ، مِنْ مَرَضٍ أَوْ فَقْدٍ أَوْ خُسْرَانٍ، فَاشْدُدْ عَلَىٰ نَفْسِكَ، وَوَاسِ قَلْبَكَ، وَقُلْ: لَمْ يَجْعَلِ اللهُ بَلَائِي فِي دِينِي، بَلْ فِي دُنْيَا فَانِيَةٍ، لَا تَساوي عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ.

وَاسْأَلِ اللهَ الثَّبَاتَ دَائِمًا عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاحْفَظْ إِخْوَانَكَ، وَتَرَفَّقْ بِهِمْ، وَانْصَحْ لَهُمْ، وَعَلِّمْهُمْ، فَلَا أُخُوَّةَ أَجْمَلُ مِنْ أُخُوَّةٍ فِي اللهِ وَلِلهِ. وَاللهِ، لَمْ أَجِدْ فِي حَيَاتِي أُخُوَّةً صَادِقَةً كَمَا وَجَدْتُهَا مَعَ إِخْوَانِي السَّلَفِيِّينَ، وَمَشَايِخِي الْأَثْبَاتِ. أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُطِيلَ أَعْمَارَهُمْ فِي طَاعَتِهِ، وَأَنْ يُمَتِّعَهُمْ بِالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالتَّوْحِيدِ حَتَّىٰ نَلْقَاهُ.

## ٩- هِمَّةُ صَلاحٍ الْعَالِيَةُ فِي نَشْرِ الْخَيْرِ وَالْعِلْمِ

يَقُولُ صَدِيقُهُ هَارونُ مُزاحِمٌ - شَفَاهُ الله -:

مِمَّا كان يُثيرُ دهشتي وإعجابي بأخي صلاحٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تِلكَ الهِمَّةُ العالِيَةُ، والنَّشاطُ المُبارَكُ في نَشْرِ الخَيْرِ والعِلْمِ؛

فقد كان لا يهدأُ، ولا يَكِلُّ، ولا يَمَلُّ من السَّعْيِ في بَثِّ السُّنَّة، ونَشْرِ الدُّروس، وتيسيرِ المحاضراتِ والفَوائِدِ.

كثيرًا ما كنتُ أدخلُ عليه، فإذا بي أسمعُ منه كلماتِه المألوفَة:

«صَمِّمْها يا هارونُ، عَجِّلْ، أَسْرِعْ، أَسْرِعْ ... ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة طه: ٨٤]!».

فما رأيتُ أحدًا أسرعَ منه في خِدْمَةِ الدَّعوة، ولا أشدَّ حِرصًا علىٰ نَفْعِ الناسِ.

كان يتمنَّىٰ مَن يُعينُه فقط علىٰ "الدَّمْج"، أمَّا النَّشرُ، فكان يقومُ به وحدَه، وكأنَّ خلفَه فريقًا بأكمله!

وقد قال لي الشيخ رَدْمَانُ الحُبَيْشيُّ - حفِظَهُ اللهُ -:

«كان صلاحٌ نَشِيطًا، مُسَارِعًا في النَّشْرِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

وأنا أقول: نَعَمْ، كان سَبَّاقًا في الخَيْرَات، عَظِيمَ الهِمَّة، خَفِيفَ الرُّوح، مُحِبًّا لكلِّ عملٍ دَعَوِيٍّ، يتلهَّفُ لانْتِشارِ الخيرِ كما يتلهَّفُ العَطْشَانُ إلىٰ الماء.

كان يفرحُ إذا قلتُ له عند إنجازِ عملٍ دَعَوِيٍّ:

«﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة طه: ٨٤]».

فَيَشْرُقُ وجهُه، وتَغمرُه السَّعادَة، ويقول:

«يا هارونُ، أُحِبُّ مَن يُعِينُني علىٰ الخَيْرِ، وأفْرَحُ بكلِّ مَن يَنشُرُ السُّنَّةَ ويُزاحِمُ أهلَ الباطِلِ».

أذكُرُ أوَّلَ أيَّامِ تعرُّفي عليه، وكان أخي أُوَيسُ يعرِفُه، فطلَبْتُ منه مساعدةً في التَّصميم، لكنه تأخَّرَ، فدخلتُ عليه، فقال لي:

«يا هارونُ، وَدِدتُ لو يُعِينُني أخوكَ أُوَيسُ، فأَبىٰ!»

فأجبْتُه: «ما أَبَىٰ، ولكنَّه لم يُحْسِنْ بعدُ، وإنْ شاءَ اللهُ يُرضِيكَ قريبًا».

فقال بفَرَحٍ:

«أحمَدُ اللهَ أن سخَّرَ للسُّنَّةِ رِجالًا يَخدِمونَها ويُنافِحونَ عنها، واللهِ يا هارونُ، أفرحُ بمَن يَنشُرُون السُّنَّةَ، كأنَّهم جنودٌ في ميدانِ الدَّعوة!».

حينَها، قلتُ لأخي أُوَيسَ:

«هنيئًا لك! لقد رَبِحْتَ كَنْزًا! صُحْبَتُكَ لهذا الرَّجُلِ شَرَفٌ، واللهِ لقد وضعَ اللهُ له في قلبي مَحبَّةً لا يعلمُها إلا الله. أُخاطِبُه وكأنِّي أُخاطِبُ أحدَ المشايخِ؛ فما هَمُّهُ إلَّا الدَّعوةُ، وما شَغْلُهُ إلَّا نَشْرُ الخَيْر!».

فبَكيتُ حينَها، وقلتُ:

«للهِ دَرُّكَ يا صَلاح!».

ثم ما لبِثَ أن صارَ أقربَ إخواني إليَّ، وأحبَّهم إلىٰ قلبي، كأنما هو أُوَيسُ ذاتُه.

وكنتُ أقولُ:

«أخذَ اللهُ مُعاذًا ومُعوَّذًا، فرزقني صَلاحًا... فالحمدُ للهِ ربِّ العالمين».

لكنَّ قَدَرَ اللهِ نافِذ، فتوفَّاه اللهُ إلىٰ رَحمَتِه،

فقلتُ:

«إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعون، رحمَ اللهُ صلاحًا، وأسكنَهُ الفِردَوسَ الأعلىٰ من الجَنَّة، وجمَعَنا به في دارِ كرامتِه، علىٰ سُرُرٍ مُتَقابلين».

وخَلَفَ اللهُ لنا أخانا خالِدًا، نِعْمَ الأخُ ونِعْمَ المُعِين، والحمدُ للهِ علىٰ كلِّ حال، ولا نقولُ إلَّا ما يُرضي ربَّنا.

## ١٠- صُوَرٌ مِنْ سَلامَةِ صَدْرِ صَلاحِ الْعَدَنِيِّ، وَحُسْنِ خُلُقِهِ

في رَحِيلِ مَن تَسامىٰ خُلُقًا، وتَرَفَّعَ نَفْسًا، وَجَبَرَ القُلُوبَ بِلِينِ مَعشَرِهِ، يَبقَىٰ الحَدِيثُ عَنْ أَمْثَالِهِ فَتْحًا لِقُلُوبٍ أَغْلَقَتْهَا المِحَنُ، وَمِرآةً لِنُفُوسٍ أَرْهَقَتْهَا الظُّنُونُ، وَدَرْسًا عَمَلِيًّا فِي فَنِّ العَيْشِ النَّبِيلِ.

حينَ يَرْحَلُ الأَوْفِيَاءُ، لا تَبْكِيهِمُ العُيُونُ فَحَسْبُ، بَل تَنُوحُ القُلُوبُ، وَتَنُوءُ الأَرْوَاحُ تَحْتَ ثِقَلِ الفَقْدِ. وَتَبْلُغُ الأَخْلَاقُ ذِرْوَتَهَا حِينَ يُذْكَرُ إِنْسَانٌ فَيَبْكِيهِ النَّاسُ، لا لِعِلْمِهِ، ولا لِمَنْصِبِهِ، بَل لِحُسْنِ خُلُقِهِ، وَصَفَاءِ قَلْبِهِ.

يَقُولُ خَالِدُ الكَنْدِيُّ، قَبْلَ مَوْتِهِ، وَهُوَ يَرْقُدُ فِي مُسْتَشْفَىٰ بِالهِنْدِ:

«رَحِمَ اللهُ أَخِيَ الحَبِيبَ أَبَا تِيمِيَّةَ صَلَاحَ العَدَنِيَّ، فَقَدْ كَانَ قِمَّةً فِي الأَدَبِ، وَالتَّسَامُحِ، وَصَفَاءِ النَّفْسِ، وَنَقَاءِ السَّرِيرَةِ».

يُحَدِّثُنِي أَحَدُ الإِخْوَةِ قَائِلًا:

دَخَلْتُ عَلَىٰ صَلَاحٍ وَأَنَا فِي وَقْتِ ضِيقٍ وَهَمٍّ، فَأَلْقَىٰ عَلَيَّ كَلِمَةً مُمازِحًا، فَغَضِبْتُ، وَأَفْرَغْتُ مَا فِي صَدْرِي مِن كَدَرٍ وَهَمٍّ عَلَيْهِ، وَصَلَاحٌ سَاكِتٌ، لَمْ يَرُدَّ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ. وَبَعْدَ سَاعَةٍ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ مُعْتَذِرًا، وَسَأَلْتُهُ: «هَلْ زَعَلْتَ؟ أَنَا أَعْتَذِرُ مِنْكَ». فَضَحِكَ، وَقَالَ: «لا تَعْتَذِرْ مِنِّي... مَا فَائِدَتِي إِنْ حَمَلْتُكَ فِي وَقْتِ رَاحَتِكَ، وَلَمْ أَحْمِلْكَ فِي وَقْتِ ضِيقِكَ؟! أَنْتَ أَخِي، وَإِنْ عَامَلْتَنِي بِغَيْرِ عَادَتِكَ، أَلْتَمِسُ لَكَ سَبْعِينَ عُذْرًا، وَأَقُولُ: لَعَلَّ لأَخِي عُذْرًا لا أَعْلَمُهُ...».

قُلْتُ أَنَا خَالِدُ الكَنْدِيُّ:

نَعَم، هذِهِ هِيَ أَخْلَاقُ صَلَاحٍ ... كَمْ كُنْتُ أَغْضَبُ عَلَيْهِ، وَهُوَ سَاكِتٌ.

لَيْسَ ذَلِكَ ضَعْفًا، لا وَاللهِ، بَلْ هِيَ القُوَّةُ بِعَيْنِهَا.

أَنْ تَسْكُتَ فِي وَقْتِ الغَضَبِ، وَتَكْتُمَ مَا فِي النَّفْسِ، وَلا تَسْمَحَ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَقْطَعَ حِبَالَ الوُدِّ بَيْنَكَ وَبَيْنَ إِخْوَانِكَ.

وقد حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ عَرَفُوهُ، أَنَّهُمْ مَرُّوا بِتَجْرِبَةٍ مُمَاثِلَةٍ مَعَهُ؛ يُخْطِئُونَ، وَيَثُورُونَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَيَجِدُونَهُ كَمَا هُوَ، بِقَلْبٍ مَفْتُوحٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ.

هَكَذَا ارْتَقَىٰ صَلَاحٌ، وَبِهَذَا الخُلُقِ بَكَاهُ النَّاسُ، وَحَزِنَ عَلَيْهِ العِبَادُ، كَأَنَّهُ عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ. وَمَا كَانَ إِلَّا رَجُلًا بَسِيطًا، لا يَحْمِلُ مِنَ الدِّينِ كَثِيرَ عِلْمٍ، وَلَكِنَّهُ تَخَلَّقَ بِأَرْفَعِ مَا فِي الدِّينِ مِن خُلُقٍ.

قَالَ الأَخُ بَكِيلُ الْوَادِعِيُّ - حَفِظَهُ اللهُ- :

حَدَثَت خُصُومَةٌ بَيْنَ إِخْوَةٍ، وَكَانُوا قَدْ أَسَاؤوا إِلَىٰ صَلَاحٍ، فَقُلْتُ لَهُ مُوَاسِيًا: «لا تَحْزَنْ مِنْ كَلَامِهِم، أَنْتَ مَرِيضٌ، اهْتَمَّ بِصِحَّتِكَ». فَقَالَ لِي صَلَاحٌ: «لا أَحْزَنُ، لَنْ يَضُرُّونِي بِشَيْءٍ، وَاللهِ لَنْ يَضُرُّوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، أَمَّا إِنْ تَكَلَّمُوا عَنِّي، فَذَلِكَ كَلَامٌ يَعُودُ إِلَيَّ بِحَسَنَاتٍ جَارِيَةٍ تَأْتِينِي بِلا جُهْدٍ».

رَحِمَكَ اللهُ يَا صَلَاحُ...

مَا فَقَدْتُكَ كَفَرْدٍ، بَلْ فَقَدْتُ قَلْبِي، وَكُلَّ عُضْوٍ فِيَّ، وَكَأَنَّ فِي مَوْتِكَ انْكَسَرَ كِيَانِي.

نَصِيحَتِي لِكُلِّ مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ جَفَاءٌ:

أَبْقُوا لِلْوُدِّ مَكَانًا فِي قُلُوبِكُمْ، لا تَتْرُكُوا لِلشَّيْطَانِ فِيهَا سَبِيلًا.

تَصَالَحُوا، فَالدُّنْيَا قَصِيرَةٌ ... وَمَا بَقِيَ لَنَا إِلَّا جَمِيلُ الذِّكْرِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ، وَالدُّعَاءُ الصَّادِقُ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ صَلَاحًا، وَاغْفِرْ لَهُ، وَاجْبُرْ كَسْرِي بِمَوْتِهِ بِلِقَائِهِ فِي عِلِّيِّينَ، عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ.

## ١١- وَفاءُ صَلاحِ العَدَنِيِّ لِلشَيْخِ عِيسَى المُصَنَّفِ

يَقولُ خالِدُ الكَندِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طَلَبَ مِنِّي الشَّيخُ عِيسَىٰ المُصَنَّفُ - حَفِظَهُ اللهُ - أَنْ أَكْتُبَ عَنْ صَلاحٍ العَدَنِيِّ، وَقَدْ كانَ شَدِيدَ الْمَحَبَّةِ لَهُ، مَحَبَّةً صادِقَةً لِلَّهِ وَفِي اللهِ.

كانَ صَلاحٌ أَوَّلَ مَنْ صَمَّمَ مَقاطِعَ لِلشَّيخِ عِيسَىٰ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَهُ شَخْصِيًّا، بَلْ كانَ يَتَلَقَّىٰ التَّوْجِيهاتِ مِنْ أَخِيهِ جابِرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الَّذِي كانَ هَمْزَةَ الْوَصْلِ بَيْنَهُما. وَكانَ صَلاحٌ يَجْهَلُ أُمُورَ التَّصْمِيمِ، لَكِنَّهُ كانَ يُجَاهِدُ لِيُرْضِيَ الشَّيخَ، وَيَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ.

وَبَعْدَ وَفاةِ جابِرٍ، أَخْلَصَ صَلاحٌ فِي تَصْمِيمِهِ لِلشَّيخِ عِيسَىٰ، وَفاءً لِأَخِيهِ، وَمَحَبَّةً لِهذَا الشَّيخِ الَّذِي شَرَحَ اللهُ بِصَوْتِهِ صَدْرَهُ، وَغَرَسَ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةَ الدَّعْوَةِ وَأَهْلِها. كانَ يُبْدِعُ فِي التَّصْمِيمِ، وَيَنْشُرُ الْمَقاطِعَ بِدُمُوعِهِ، كَأَنَّما يُسابِقُ الزَّمَنَ.

أَحَبَّ صَلاحٌ الشَّيخَ عِيسَىٰ حُبًّا عَجِيبًا، وَكانَ يُقَلِّدُ صَوْتَهُ، وَيَصِفُهُ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّواضُعِ، وَيَقولُ: «كَلامُهُ يَدْخُلُ قَلْبِي كَنَسْمَةٍ بارِدَةٍ». حَتَّىٰ إِذَا سَمِعَ بِمَرَضِ أُمِّهِ، بَكَىٰ وَقالَ: «وَجَعُ فَقْدِ الأُمِّ لا يُطاقُ، وَأَنا أَعْرِفُ هذِهِ الْكَسْرَةَ».

كانَ رَقِيقَ الْقَلْبِ، لا يَمَلُّ مِنْ ذِكْرِ الشَّيخِ، وَيُوصِي أَصْدِقاءَهُ أَنْ يُراعُوهُ إِنْ أَصابَهُ مَكْرُوهٌ.

رَحِمَ اللهُ صَلاحًا العَدَنِيَّ، فَقَدْ كانَ صادِقَ الْوَفاءِ، نَقِيَّ السَّرِيرَةِ، باذِلًا وَقْتَهُ وَجُهْدَهُ فِي نُصْرَةِ الدَّعْوَةِ وَخِدْمَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، لا يَنْتَظِرُ جَزاءً وَلا شُكُورًا.

## ١٢- كَرَمُهُ الخَفِيُّ .. وَكَنْزُهُ الخَالِدُ

مِنَ النَّاسِ مَن يُنْفِقُ لِيُرَىٰ، وَمِنْهُم مَن يُؤْثِرُ لِيُؤْجَرَ، وَمِنْهُم رَجُلٌ نَحْسَبُهُ -وَاللهُ حَسِيبُهُ- قَدْ قَدَّمَ مَالَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَكَانَ عَطَاؤُهُ صَامِتًا، وَكَرَمُهُ مَسْتُورًا، وَنِيَّتُهُ أَغْلَىٰ مِنْ نَفَقَتِهِ.

يَقُولُ عَنْهُ صَدِيقُهُ الرَّاحِلُ خَالِدُ الكَنْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«كَانَ يَسْتَلِمُ رَاتِبَهُ، وَمَا يَلْبَثُ أَنْ يَأْتِيَنِي فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَيَقُولُ: يَا خَالِدُ، أُرِيدُ قَرْضَةً. فَأَقُولُ لَهُ مَازِحًا: لَا أُعْطِيكَ! أَيْنَ تَذْهَبُ بِرَاتِبِكَ؟! فَيَسْكُتُ، وَلَا يَرُدُّ جَوَابًا».

وَكُنْتُ أَحْيَانًا أُدَاعِبُهُ، وَأَقُولُ لَهُ: هَلْ تَجْمَعُ كَنْزًا؟! فَيَبْتَسِمُ، وَيَقُولُ: نَعَمْ، ثُمَّ يَضْحَكُ!

ثُمَّ زَادَتْ عَلَيْهِ الْكُرْبَةُ، وَنَقَصَ رَاتِبُهُ، وَلَمْ يَعُدْ يَكْفِيهِ، فَاتَّصَلَ بِي مِنْ مِصْرَ، قَائِلًا:

«يَا خَالِدُ، لَقَدْ بِعْتُ بَيْتِي، وَسَدَّدْتُ دَيْنِي، وَمَا بَقِيَ مِنْ ثَمَنِهِ فَهُوَ نَصِيبُكَ، تَعَالَ بِهِ إِلَىٰ مِصْرَ، عَالِجْ بِهِ وَلَدَكَ سَلْمَانَ».

فَقُلْتُ لَهُ: «لَا، بَلْ أَنْتَ أَحْوَجُ إِلَىٰ الْمَالِ الْآنَ لِعِلَاجِكَ!».

فَأَجَابَنِي بِكَلِمَةٍ لَا تَزَالُ تَرِنُّ فِي أُذُنِي: «وَمَا يُدْرِيكَ يَا خَالِدُ؟!

لَعَلَّ عَافِيَتِي وَحَاجَتِي يَقْضِيهَا اللهُ عَلَىٰ يَدِ وَلَدِكَ سَلْمَانَ!».

وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، وَبَيْنَ يَدَيَّ هَاتِفُهُ، عَلِمْتُ أَيْنَ كَانَ يُنْفِقُ أَمْوَالَهُ ... حَتَّىٰ ضَعُفَ جَسَدُهُ مِنْ شِدَّةِ الِاقْتِصَادِ فِي أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ، لِيُبْذِلَ مَا يَمْلِكُ خُفْيَةً، وَيُقَدِّمَ صَدَقَتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فِي صَمْتٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.

فَهَنِيئًا لَهُ كَنْزُهُ، وَهَنِيئًا لَهُ صَدَقَتُهُ الْمَسْتُورَةُ.

خالدُ الكِندِي
مَدرَسَةٌ فِي الوَفَاءِ

# اِسْتِهْلالٌ

فِي هذِهِ الصَّفَحَاتِ، لَنْ نَرْوِيَ سِيرَةَ رَجُلٍ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَحُ دَفَاتِرَ الْوَفَاءِ، لِنَسْتَخْرِجَ مِنْهَا أَنْبَلَ مَعَانِيَ الصُّحْبَةِ، وَالْكَرَمِ، وَالصَّبْرِ، وَالْعَطَاءِ...

مِنْ سِيرَةِ رَجُلٍ نَحْسَبُهُ - وَاللهُ حَسِيبُهُ - مِمَّنْ صَدَقَ فِي وُدِّهِ، وَسَمَا فِي خُلُقِهِ، وَسَبَقَ فِي أَثَرِهِ.

## ١٣- نَفَحَاتٌ مِنْ حَيَاةِ خَالِدِ الكَنْدِيِّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفرَ له -

من عادتي إذا نعِمتُ بأخٍ من إخوانِ السُّنَّةِ، وارتبطتْ بيني وبينَه عُرىٰ المودَّةِ، أن أستحثَّه بأن يكتبَ لي نُبْذةً عن حياتِه، لا سيَّما إذا لم تَجمعْني به معاشرةٌ، أو لم يَبلُغْني عنه ما يشفي غليلَ المعرفةِ. وكان من هؤلاء الإخوانِ خالدُ الكنديُّ، الذي إذا نطقَ أحيا، وإذا كتبَ أثّر، وإذا صمَت أوقَر.

رأيتُ في كلماتِه روحًا تُجِلُّ، وتواضعًا يعزُّ، وأدبًا يَفيض، واحترامًا يَسبق، ومنطقًا يُحلِّي السَّمعَ، وحديثًا كأنَّما هو نظمٌ يُتلىٰ، لا يُقال.

فواللهِ، لكأنَّ أبا إسحاقَ المُهَلَّبيَّ قد رآه بعينِ البصيرةِ حين قال:

لكَ في الرسائلِ منطقٌ يشفي الجوىٰ ... ويَسُوغُ في أُذُنِ الأديبِ سُلافُهُ

فكأنَّ لفظكَ لؤلؤٌ مُتَنخَّل ... وكأنَّما بقلوبُنا أصدافُهُ

فطلبتُ منه أن يكتبَ لي شيئًا عن حياتِه، وألححتُ، فاستجاب - كعادتِه في اللِّينِ والاستجابةِ - وكتب:

«اسمي خالدُ بنُ أحمدَ عُبادي، من مواليدِ حضرموت. كان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مغتربًا في المملكةِ العربيةِ السعوديةِ، ثم ما لبث أنِ افترقَ عن والدتي، وأنا ابنُ سبعِ سنين، فتفرَّق الشَّملُ، وتشتَّتت الأركانُ. تزوَّجَ والدي، وتزوَّجَتْ أُمِّي، وبقيتُ في حِضنِ جدَّتي رَحِمَهَا ٱللَّهُ ألتاعُ لفقدِ الأبوينِ، وأتقلَّبُ علىٰ جمرِ الفُرقةِ والفِراقِ.

فلمَّا بلغتُ الثانيةَ عشرةَ من عمري، سافرتُ مع عَمِّي إلىٰ السعوديةِ أطلبُ الرِّزقَ، وأتوسَّلُ بالكفاحِ إلىٰ ما يُقيمُ الأَوَدَ. ثم لمَّا بلغ سنِّي التاسعةَ عشرةَ، عُدتُ إلىٰ اليمنِ، وقد جمعتُ شيئًا من المالِ، فتزوَّجتُ في مدينةِ تعز، وفيها بنيتُ مسكنًا، ورُزقتُ من الذريَّةِ: سليمان، ووليد، وسليم، وسلمىٰ، وصلاح، وكان صلاحٌ - يومَ كتبتُ هذا - ابنَ أربعةِ أشهرٍ.

أمَّا سليمانُ، فقد كان به ضمورٌ في الدماغِ، فقبضهُ اللهُ إليهِ منذُ أيَّامٍ، وأمَّا وليدٌ، فقد سبقَ أخاهُ إلىٰ رحمةِ ربِّه قبلَ ستةِ أشهرٍ، إثرَ حادثٍ مروريٍّ. ولكن، واللهِ، ما هزَّني فقدُهما كما هزَّني موتُ صلاحٍ، ولا سالَ دمعي عليهما كما سالَ عليه.

بلغتُ الخامسةَ والثلاثينَ من العمرِ، وأعملُ مندوبًا لنقلِ البضائعِ بين تعز والقاعدة. ما كنتُ أعرفُ من ديني إلا ما تعلَّمتُه في مدرستي، ولم يكن لي همٌّ إلا لُقمةَ العيشِ وتربيةَ العِيالِ.

حتَّىٰ ساقَ اللهُ إليَّ صلاحًا...

كنتُ قبله غافلًا، والدنيا تأكلُ أيَّامي أكلاً، فلمَّا صحِبتُه انبعثَ في قلبي نورٌ، وتحوَّلت وجهتي، ثم لمَّا مات تغيَّرتُ أكثرَ... كأنَّه أورثني ما كان عليه من الخيرِ، وألقىٰ في قلبي لُبَّ ما تركَ من الإيمانِ والاستقامةِ».

ثمَّ استأنفَ حديثَه فقال:

«كان صلاحٌ يراني غافلًا عن ديني، فيقول لي: اقتربْ يا خالد، فلن تندمْ، اقتربْ قبل أن تتأخَّرْ...

ووالله، لو عرفتُ أهلَ السنةِ من قبلُ، لما توانيتُ عن السيرِ إليهم، ولكنَّ قدَرَ الله، وما شاءَ فعل.

وإنِّي لأشهدُ اللهَ أني ما وجدتُ في القومِ إلا ما كان يُخبرني به: من المحبَّةِ، والرحمةِ، والمواساةِ، والنصيحةِ، والصدقِ، والتضحيةِ... ما تعجزُ الكلماتُ عن وصفِه».

ثم خطَّ بخطٍّ متهدِّجٍ:

«أنا الآنَ مريضٌ، أصبتُ بسكتةٍ دماغيَّةٍ بعد موتِ صلاح، أثَّرت علىٰ مركزِ النطقِ، وسبَّبت شدًّا في الحنجرةِ، وتضرَّرت حبالِي الصوتيَّةُ من شدةِ البكاءِ عليه، وقال الأطبَّاء: لن أستطيعَ الكلامَ لفترةٍ.

أُعاني أيضًا من ربوٍ مزمنٍ، وارتفاعٍ في الضغطِ، وتأثَّرَ قلبي بالحزنِ، حتىٰ احتجتُ إلىٰ قسطرةٍ لشرايينِ قلبي قبل عشرةِ أيَّامٍ».

ذلك ما كتبَه لي خالدُ الكنديُّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفرَ له - قبل أيَّامٍ معدوداتٍ من رَحيلِه.

اللهمَّ، اجزِهِ عن صدقِه خيرًا، وارفعه في علِّيِّين، وألحِقْه بالصالحين، واجعلنا وإيَّاه ممَّن يجتمعونَ في ظلِّ عرشِك، يوم لا ظلَّ إلا ظلُّك، غيرَ خزايا ولا مفتونين.

## ١٤- نَبَرَاتُ الوَدَاعِ

يَقُولُ الأَخُ الحَبِيبُ، هَارُونُ مُزَاحِمٌ - شَفَاهُ اللهُ، وَبَارَكَ فِي عُمُرِهِ - وَقَدِ اعْتَصَرَ قَلْبَهُ الحُزْنُ، وَأَثْقَلَهُ الوَدَاعُ:

كُنتُ، قَبْلَ دُخُولِ أَخِي الغَالِي عَلَىٰ قَلْبِي، خَالِدٍ الكِنْدِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَىٰ عَمَلِيَّتِهِ الأَخِيرَةِ، أُحَادِثُهُ، وَكَأَنَّمَا يُوَدِّعُنِي. كَانَتْ كَلِمَاتُهُ تُوحِي بِالفِرَاقِ، وَنَبْرَتُهُ تَسْرِي فِي القَلْبِ، كَأَنَّهَا آخِرُ عَهْدٍ بَيْنَنَا. وَكُنتُ أُصَبِّرُهُ، وَأَتَفَاءَلُ، وَأَرْجُو اللهَ لَهُ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ، غَيْرَ أَنِّي كُنتُ أَسْمَعُ فِي صَوْتِهِ نَبْرَةَ الوَدَاعِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: "يَا هَارُونُ، هَذَا آخِرُ تَوَاصُلٍ بَيْنَنَا".

ظَلَّ يُحَادِثُنِي، حَتَّىٰ اللَّحْظَةِ الَّتِي دَلَفَ فِيهَا إِلَىٰ غُرْفَةِ العَمَلِيَّاتِ، وَأَنَا أَدْعُو لَهُ، مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي، دُعَاءَ المَفْجُوعِ. لَا تُفَارِقُنِي دُمُوعِي، وَلَمْ يَغْمُضْ لِي جَفْنٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، أَتَرَقَّبُ خُرُوجَهُ، لِأَطْمَئِنَّ عَلَيْهِ. كَانَ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي: أَخِي الوَدُودُ رَاحِلٌ.

## ١٥- وَرَحَلَ الأَحِبّةُ.. وَبَقِيَ الأَثَرُ

يَقُولُ صَدِيقُهُ هَارونُ مُزَاحِمُ: قُبَيْلَ دُخُولِهِ لِلْعَمَلِيَّةِ بِلَحَظَاتٍ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْرَ الِاتِّصَالِ، وَقَالَ: «الحَمْدُ للهِ، وَجَدْتُكَ مُتَّصِلًا»، ثُمَّ شَرَعَ يُوصِينِي بِالمَشَايِخِ خَيْرًا، وَأَرْسَلَ إِلَيَّ أَرْقَامَ مَنْ يُصَمِّمُ لَهُمْ، كَأَنَّهُ يُسَلِّمُ الأَمَانَةَ، وَكَأَنِّي بِهِ يَكْتُبُ وَصِيَّتَهُ. فَأَبْكَانِي، حَتَّىٰ غَلَبَنِي البُكَاءُ، وَلَمْ أَتَمَالَكْ نَفْسِي، وَقُلْتُ فِي سِرِّي: "هَذَا وَدَاعٌ.. يَا رَبِّ، احْفَظْهُ."

كَانَتْ تِلْكَ آخِرَ لَحَظَاتِ الحَدِيثِ بَيْنَنَا، كَمَا كَانَتْ آخِرَ لَحَظَاتِ الوُدِّ مَعَ أَخِي الحَبِيبِ، صَلَاحٍ العَدَنِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَقَدْ صَنَعَ بِي كَمَا صَنَعَ خَالِدٌ، وَكَأَنَّ المَوْتَ بَيْنَهُمَا سُنَّةٌ يَتَنَاقَلَانِهَا فِي الوَدَاعِ. كَتَبَ وَصِيَّتَهُ عَلَىٰ حِسَابِي، وَبَعَثَ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَرْقَامَ المُصَمِّمِينَ، وَكَأَنَّهُ يُرَتِّبُ أُمُورَ مَا بَعْدَ الرَّحِيلِ. رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، رَحْمَةً وَاسِعَةً.

لَقَدْ أَوْصَانِي خَالِدٌ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ صَلَاحٌ، وَكَأَنَّهُمَا رُوحٌ وَاحِدَةٌ فِي جَسَدَيْنِ، يَحْمِلَانِ هَمَّ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَالدُّعَاةِ، وَالنَّشْرِ، وَكُلَّ مَا يُعِينُ عَلَىٰ خِدْمَةِ الإِسْلَامِ. أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْزِيَهُمَا عَنِ المُسْلِمِينَ خَيْرَ الجَزَاءِ.

بَعْدَ أَنْ وَدَّعَنِي خَالِدٌ، لَمْ أَشْعُرْ بِنَفْسِي، إِلَّا وَقَدْ سَقَطْتُ، وَأَفَقْتُ فِي العِنَايَةِ المُرَكَّزَةِ، فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ، وَكَأَنَّ جُزْءًا مِنِّي قَدْ فُقِدَ. شَعَرْتُ بِفَرَاغٍ عَظِيمٍ، وَوَحْشَةٍ غَرِيبَةٍ، لَا أَعْرِفُهَا، إِلَّا حِينَ يَغِيبُ الأَحِبَّةُ.

مَكَثْتُ يَوْمَيْنِ فِي تِلْكَ الحَالِ، أُوَاسِي نَفْسِي بِذِكْرِ اللهِ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ، حَتَّىٰ اطْمَأَنَّ قَلْبِي، بِفَضْلِ اللهِ وَكَرَمِهِ.

وَفِي اليَوْمِ الثَّانِي أَوِ الثَّالِثِ، قُلْتُ لِأَخِي مُزَاحِمٍ: «أَعْطِنِي الهَاتِفَ، أُرِيدُ شَيْئًا»، فَإِذَا بِالشَّيْخِ عِيسَىٰ يَقُولُ لِي: «خَالِدٌ انْتَقَلَ إِلَىٰ جِوَارِ رَبِّهِ». فَوَقَعَ الخَبَرُ عَلَيَّ كَالصَّاعِقَةِ، وَحَزِنْتُ حُزْنًا شَدِيدًا، وَلَا أَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا: "إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ".

## ١٦- رُفَقَاءُ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ

يقولُ صديقُهُ هارونُ مُزاحِمٌ - شَفاهُ اللهُ - :

أَمَّا مَا كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ، فَلَهُ مَشْهَدٌ عَجِيبٌ: كَانَ خَالِدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَذْهَبُ إِلَىٰ مَقْبَرَةٍ فِي مِصْرَ، وَيَجْلِسُ جِوَارَ قَبْرِ أَخِينَا صَلَاحٍ العَدَنِيِّ، فَيَبْكِي. قَالَ لَهُ حَارِسُ المَقْبَرَةِ بَاكِيًا: قَبْلَ شَهْرٍ جَاءَ صَلَاحٌ إِلَىٰ هُنَا، زَارَ جَابِرًا، وَدَفَعَ لَهُ حَقَّ القَبْرِ، وَقَالَ لَهُ بَاكِيًا: أَنَا مَرِضْتُ، يَا جَابِرُ، وَجِئْتُ لِأَنَامَ جِوَارَكَ، رَبِّي لَا يُفَرِّقُنَا.

وَالآنَ - يَا خَالِدُ - تَطْلُبُ مَا طَلَبَهُ صَلَاحٌ! مَا هَذَا الحُبُّ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ أَرْوَاحِكُمْ؟!

وَقَدْ شَاءَ اللهُ أَنْ يُدْفَنَ خَالِدٌ جِوَارَ جَابِرٍ، وَجِوَارَ صَلَاحٍ، رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا، وَأَسْكَنَهُمُ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَىٰ.

## ١٧- الرُّؤْيَا الصّالِحَةُ

فِي أَيَّامِهِ الْأَخِيرَةِ، قَبْلَ أَنْ يُفَارِقَ الدُّنْيَا إِلَىٰ جِوَارِ رَبِّهِ، رَأَىٰ خَالِدٌ رُؤْيَا لَمْ تُفَارِقْهُ، وَلَا فَارَقَتْ مَنْ سَمِعَهَا، جَارِيَةٌ مِنْ نُورٍ، وَجَمَالٌ لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ، بَشَّرَتْهُ بِانْتِظَارٍ، وَطَمْأَنَتْهُ بِلِقَاءٍ.

وَتَتَابَعَتِ الْمُبَشِّرَاتُ، فَرَأَىٰ فِيهَا أَخَاهُ وَرَفِيقَ دَرْبِهِ صَلَاحَ الْعَدَنِيَّ، فِي مَجْلِسٍ يَضُمُّ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ: «تَعَالَ، لَقَدْ حَجَزْتُ لَكَ كُرْسِيًّا بِجَانِبِي».

يقولُ صديقُهُ هارونُ مُزاحِمٌ - شَفاهُ اللهُ - :

قَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ، رَأَىٰ خَالِدٌ رُؤْيَا، أَخْبَرَنِي بِهَا، قَالَ: رَأَيْتُ جَارِيَةً لَمْ أَرَ مِثْلَ جَمَالِهَا قَطُّ، كَأَنَّهَا مَلَكٌ مِنْ نُورٍ، قَالَتْ لِي: أَنَا فِي انْتِظَارِكَ. قَالَ: مَا فَارَقَنِي جَمَالُهَا سَائِرَ يَوْمِي.

وَقَالَ الشَّيْخُ عِيسَىٰ المصنف: تَوَاصَلَ مَعِي خَالِدٌ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ رَأَىٰ صَلَاحَ العَدَنِيَّ فِي المَنَامِ، فِي غُرْفَةٍ مَلِيئَةٍ بِالكَرَاسِي، يَجْلِسُ عَلَيْهَا سَلَفِيُّونَ، وَمَشَايِخُ، وَعُلَمَاءُ، مِنْهُمُ العَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ، وَالعَلَّامَةُ الإِثْيُوبِيُّ، وَمَشَايِخُ لَا يَعْرِفُهُمْ، وَكَانَ صَلَاحٌ فِي أَوَّلِ الكَرَاسِي، فَقَالَ لِخَالِدٍ: «تَعَالَ، لَقَدْ حَجَزْتُ لَكَ كُرْسِيًّا بِجَانِبِي».

## ١٨- مَوْتُ خَالِدٍ الكِنْدِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

لَمْ يَلْبَثْ خَالِدٌ بَعْدَ هَذِهِ الرُّؤْيَا إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا، ثُمَّ لَحِقَ بِأَخِيهِ صَلَاح العَدَنِيِّ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وَكَانَ بَيْنَ وَفَاتِهِمَا شَهْرٌ وَنِصْفٌ.

فَقَدْ مَاتَ صَلَاحٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي الثَّالِثِ مِنْ رَبِيعٍ آخَرَ، وَمَاتَ خَالِدٌ فِي التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَىٰ الآخِرَةِ لِعَامِ ١٤٤٦هـ.

رَحِمَهُمُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَجَعَلَ مَا قَدَّمَا لِلإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ فِي مَوَازِينِ حَسَنَاتِهِمَا، وَأَقَرَّ عَيْنَيْهِمَا بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَجَمَعَنَا بِهِمَا فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَىٰ، غَيْرَ خَزَايَا وَلا نَدَامَىٰ.

## ١٩- إشْرَاقَةٌ منْ قِصَّة الطَّبِيْب الهِنْدِيِّ آرْهَان

قِصَّةُ الطَّبِيبِ الهِنْدِيِّ وَخَالِدِ الكِنْدِيِّ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

يَقُولُ خَالِدُ الكِنْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَبْلَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، كُنْتُ أَسْتَمِعُ إِلَىٰ مُحَاضَرَةٍ لِلشَّيْخِ صَابِرٍ الحَجِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنِ المَوْتِ، فَنِمْتُ مِنَ التَّعَبِ وَأَنَا أَسْتَمِعُ، فَأَحْسَسْتُ بِحَرَكَةٍ جَوَارِي، فَانْتَفَضْتُ أَبْحَثُ عَنْ جَوَّالِي خَشْيَةَ أَنْ يُسْرَقَ؛ لِأَنَّهُ جَوَّالُ أَخِي صَلَاحٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، غَالٍ عَلَيَّ، وَأَمَانَةٌ عِنْدِي.

فَالْتَفَتُّ، وَإِذَا بِالطَّبِيبِ قَدْ أَخَذَ هَاتِفِي، وَهُوَ يَسْتَمِعُ إِلَىٰ مَا يَقُولُ صَابِرٌ، وَيَبْدُو عَلَيْهِ التَّأَثُّرُ، وَلَمْ يَسْمَعْ حِينَ قُلْتُ لَهُ: أُرِيدُ الجَوَّالَ.

وَدِيَانَتُهُ بُوذِيَّةٌ، وَيَعْرِفُ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ.

فَلَمَّا رَآنِي أَتَحَرَّكُ لِآخُذَ الجَوَّالَ، انْتَبَهْتُ، وَالدُّمُوعُ فِي عَيْنَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

«هَذَا شَيْءٌ مُرِيحٌ جِدًّا، لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِهِ مِنْ قَبْلُ».

وَأَصْبَحَ كُلَّ يَوْمٍ يَأْتِي إِلَيَّ، وَيَقُولُ: «أَسْمِعْنِي مِمَّا سَمِعْتَ ذَلِكَ اليَوْمَ»،

فَكُنْتُ أُسْمِعُهُ مَوَاعِظَ وَمُحَاضَرَاتٍ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَمْ أَقُلْ لَهُ: "أَسْلِمْ"، خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَتَقَبَّلَ الأَمْرَ مِنِّي.

وَكَانَ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ، يَقُولُ: «أَسْمِعْنِي مِمَّا أَسْمَعْتَنِي ذَلِكَ اليَوْمَ»،

وَأُسْمِعُهُ القُرْآنَ، فَيَبْكِي، وَيَقُولُ: «مُرِيحٌ جِدًّا».

دَخَلْتُ العَمَلِيَّاتِ، وَأَنَا أُنَاجِي رَبِّي أَنْ يُسْلِمَ هَذَا الشَّابَّ، وَكَانَ يَبْكِي، وَيَحْزَنُ عَلَيَّ.

وَقَبْلَ قَلِيلٍ، دَخَلَ عَلَيَّ يَبْكِي، وَيَقُولُ لِي:

«خِفْتُ أَنْ تَمُوتَ، وَأُضَيِّعَ الطَّرِيقَ الَّتِي فَتَحْتَهَا لِي».

فَقُلْتُ لَهُ: «أَسْلِمْ، وَلَنْ يُضَيِّعَكَ اللهُ، وَأَنَا إِنْ مُتُّ فَلَا تَخَفْ عَلَيَّ، لَعَلَّ فِي مَوْتِي رَحْمَةً، وَأَنْ يُدْخِلَنِي اللهُ الجَنَّةَ، وَلَكِنْ أَنْتَ إِنْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ دِينِ الإِسْلَامِ، فَمَنْ يُنَجِّيكَ مِنَ النَّارِ؟».

فَجَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيَّ، يَبْكِي، وَيَقُولُ: «مَاذَا أَقُولُ؟».

وَأَنَا مِنْ شِدَّةِ بُكَائِي، لَمْ أَعُدْ أَسْتَطِيعُ فَتْحَ عَيْنَيَّ.

فَقَالَ لَهُ مَازِن - المُتَرْجِمُ المُرَافِقُ لِي فِي مَرَضِي - :

«قُلْ لَهُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ».

فَقَالَهَا، وَهُوَ يَبْكِي، وَيُقَبِّلُ رُكْبَتَيَّ، حَتَّىٰ اقْشَعَرَّ بَدَنِي.

وَيَشْهَدُ اللهُ أَنَّ قَلْبِي كَادَ يَقِفُ مِنَ الفَرَحَةِ.

أَحْبَبْتُ - وَاللهِ - أَنْ أَكْتُبَ لَكُمْ، وَكُلِّي أَلَمٌ وَدُمُوعٌ،

لَا أَدْرِي: أَأَبْكِي مِنَ الفَرَحِ؟ أَمْ مِنَ الوَجَعِ؟ أَمْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ؟

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ.

وَعَقِبَ ذَلِكَ، دَخَلَ خَالِدٌ العِنَايَةَ، وَفَارَقَ الحَيَاةَ بَعْدَهَا بِلَحْظَاتٍ،

فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ ١٩ مِنْ جُمَادَىٰ الآخِرَةِ ١٤٤٦هـ.

وَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ خَاتِمَةٍ: أَسْلَمَ رَجُلٌ عَلَىٰ يَدِهِ، فَفَرِحَ حَتَّىٰ لَقِيَ اللهَ.

## ٢٠- مَوْتُ الطَّبِيبِ آرْهَان

وَأَمَّا الطَّبِيبُ الهِنْدِيُّ "آرْهَان"، فَبَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ، صَلَّىٰ سِتَّ صَلَوَاتٍ، وَقَامَ اللَّيْلَ مَعَ مَازِنِ العِيدَرُوسِ، وَظَلَّ يَبْكِي عَلَىٰ خَالِدٍ بُكَاءً مُرًّا.

تَأَثَّرَ بِأَخْلَاقِهِ وَرِفْقِهِ، وَأَحَبَّهُ حُبًّا عَظِيمًا؛ لِأَنَّهُ السَّبَبُ - بَعْدَ اللهِ - فِي هِدَايَتِهِ.

وَقَدْ شَارَكَ فِي تَغْسِيلِهِ، وَدَمْعُهُ لَمْ يَجِفَّ.

وَلَمَّا ذَهَبَ مَازِن لِتَجْهِيزِ مَعَامِلَاتِ إِخْرَاجِ الجُثَّةِ مِنَ المُسْتَشْفَىٰ، طَلَبَ مِنْ آرْهَان أَنْ يَبْقَىٰ بِجِوَارِ خَالِدٍ.

فَلَمْ يَعُدْ، إِلَّا وَ"آرْهَان" قَدْ فَارَقَ الحَيَاةَ، بِذَبْحَةٍ صَدْرِيَّةٍ، تَأَثُّرًا وَحُزْنًا عَلَىٰ خَالِدٍ.

رَحِمَهُمَا اللهُ، وَجَمَعَنَا بِهِمَا فِي أَعَالِي الفِرْدَوْسِ.

## ٢١- قِصَّةُ مَازِنِ العَيْدَرُوس

### ۞ رَحِيلٌ يُؤْلِمُ، وَذِكْرَى تُلْهِمُ:

تَخْبُو شُمُوعُ الرِّفْقَةِ الصَّالِحَةِ وَاحِدَةً تِلْوَ الأُخْرَىٰ، غَيْرَ أَنَّ وَهْجَهَا لَا يَنْطَفِئُ فِي القُلُوبِ، بَلْ يَسْرِي كَمَا تَسْرِي العَافِيَةُ فِي الأَوْصَالِ، وَيَصْعَدُ ذِكْرُهَا مَعَ كُلِّ دَعْوَةٍ مُخْلِصَةٍ، وَنَظْرَةِ حَنِينٍ مُوْجِعَةٍ.

وَمَا إِنْ طُوِيَتْ صَفْحَةٌ حَافِلَةٌ بِالعِبْرَةِ وَالمَوَاقِفِ فِي حَيَاةِ مَنْ سَبَقُوهُ، حَتَّىٰ امْتَدَّ سَطْرُ الحُزْنِ لِيَسْجِّلَ اسْمًا جَدِيدًا فِي سِجِلِّ الوَفَاءِ وَالثَّبَاتِ؛ فَبَعْدَ صَلَاحِ العَدَنِي، ثُمَّ خَالِدِ الكِنْدِي، ثُمَّ الطَّبِيبِ الهِنْدِي أَرْهَان، جَاءَ الدَّوْرُ عَلَىٰ رَابِعِهِمْ، مَازِنِ العِيدْرُوس، إِذْ رَحَلَ إِلَىٰ رَبِّهِ فَجْرَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ ذِي القَعْدَةِ،١٤٤٦ بَعْدَ رِحْلَةٍ شَاقَّةٍ مَعَ الْبَلَاءِ وَالْمِحَنِ...

فَانْكَسَرَتِ الْقُلُوبُ، وَخَفَتَ الضِّيَاءُ فِي العُيُونِ، وَسَادَ الْوَجْدُ،

فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ فِرَاقِ رَفِيقَيْ دَرْبِهِ إِلَّا نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ

ثُمَّ لَحِقَ بِهِمَا، وَكَأَنَّ بَيْنَهُمْ مَوْعِدًا مَضْرُوبًا فِي صَحَائِفِ القَدَرِ.

رَحِمَهُمُ اللهُ جَمِيعًا رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَجَمَعَنَا بِهِمْ فِي جِنَّاتِ النَّعِيمِ.

كَانَ مَازِنُ العِيدْرُوس رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُرَافِقًا وَمُتَرْجِمًا لِلأَخِ خَالِدِ الكِنْدِي.

فِي الهِنْدِ، وَقَدْ تَأَثَّرَ بِهِ وَبِالأَخِ "صَلَاحِ العَدَنِي" تَأَثُّرًا بَالِغًا، فثبَتَ عَلَىٰ نَهْجِهِم حَتَّىٰ خَتَمَ اللهُ لَهُ بِخَاتِمَتِهِم، فِيمَا نَحْسِبُهُ، وَاللهُ حَسِيبُهُ.

كَانَ مِثَالًا فِي الغَيْرَةِ عَلَىٰ السُّنَّةِ، مُتَمَسِّكًا بِالمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ، دَاعِيًا إِلَيْهِ، لَا يُعْرَفُ عَنْهُ طَلَبُ جَاهٍ، وَلَا سَعْيٌ لِرِيَاءٍ، بَلْ أَنْشَأَ قَنَاةً خَاصَّةً لِبَيَانِ حَالِ الفِرَقِ المُنَاوِئَةِ لِمَنْهَجِ السَّلَفِ، وَجَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ جُنْدِيًّا مَجْهُولًا فِي نُصْرَةِ السُّنَّةِ، عَالِيَ الهِمَّةِ، كَرِيمَ النَّفْسِ، كَثِيرَ البَذْلِ، يَعْمَلُ فِي تَنْسِيقِ المَقَاطِعِ الدَّعَوِيَّةِ، وَيَتَوَاصَلُ مَعَ إِخْوَانِهِ مِنَ الدُّعَاةِ دَعْمًا وَنُصْرَةً وَمُؤَازَرَةً.

وَمِنْ كَلِمَاتِهِ الَّتِي تَقْطُرُ صِدْقًا وَإِخْلَاصًا: «أَنَا بَايِعْ رُوحِي لِلَّهِ مِنْ زَمَان، رَخِيصَة، مَالَهَا قِيمَةٌ عِنْدِي»، وَكَانَ يُرَدِّدُ كَثِيرًا: «فَيَا رَبِّ اجْعَلْ حَيَاتِي فِي السُّنَّةِ خَيْرًا وَزِيَادَةً، وَمَوْتِي فِي سَبِيلِهَا فَتْحًا وَنَصْرًا وَشَهَادَةً».

فَرَحِمَ اللهُ مَازِنًا، وَرَحِمَ جَابِراً وَصَلَاحًا، وَخَالِدًا، وَأَرْهَانَ، وَجَبَرَ مُصَابَ كُلِّ مَنْ أَحَبَّهُمْ، وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِهِمْ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَىٰ، مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا.

# أنفَاسٌ مِن أثَرٍ لا يُمحى

## مَا تَعَلَّمْنَاهُ منْ هَذِهِ القِصَّةِ

حينَ يَرحَلُ بَعضُ النَّاسِ، لا يَغِيبُونَ تَمامًا ...

بل تَبقَىٰ أَنفَاسُهُمُ العَذبَةُ عَالِقَةً في زَوَايَا الذَّاكِرَةِ، ومَلامِحُهُمُ النَّقِيَّةُ تَسكُنُ القُلُوبَ.

لا تُقَاسُ الأَعْمَارُ بِطُولِ السِّنِينَ، بَل بِعُمقِ الأَثَرِ، وَصِدقِ المُعَامَلَةِ، وَجَمَالِ البَذلِ في هُدُوءٍ وتَوَاضُعٍ.

رَحِيلُ صَلَاحٍ العَدَنِيِّ وَخَالِدٍ الكِنِدِيِّ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ لَم يَكُن مُجَرَّدَ لَحظَةٍ عَابِرَةٍ، بَل مَوقِفًا يَهُزُّ النَّفسَ، وَيُعِيدُ تَرتِيبَ البَصَائِرِ، وَيَجعَلُنَا نَتَأَمَّلُ: مَا الَّذِي يَبقَىٰ مِنَ المَرءِ بَعدَ أَن يَطوِيَ الغِيَابُ صَفحَتَهُ؟

لَقَد رَحَلَا في الظَّاهِرِ، وَلَكِن دُرُوسُهُمَا بَاقِيَةٌ؛ تَوَاضُعُهُمَا، وَأَدَبُهُمَا الجَمُّ، وَصِدقُ مَشَاعِرِهِمَا، وَبَسَاطَةُ حُضُورِهِمَا الَّذِي لا يُنسَىٰ... كُلُّ ذَلِكَ جَعَلَ مِن ذِكرَاهُمَا مَنَارَةً تُضِيءُ الدَّربَ لِلقُلُوبِ الصَّادِقَةِ.

إِنَّ في رَحِيلِهِمَا عِبَرًا لا تُحصَىٰ، وَفي سُلُوكِهِمَا دُرُوسًا لا تُنسَىٰ. فَلَيسَتِ العِبَرُ في مَوتِ العُظَمَاءِ فَحَسْبُ، بَل في حَيَاةِ البُسَطَاءِ الَّذِينَ عَرَفُوا رَبَّهُم، وَخَفَتَ صَوتُهُم، وَعَظُمَ أَثَرُهُم.

وَإِلَيكَ أَنفَاسًا مِن عَبَقِ مَآثِرِهِمَا...

وَقَفَاتٌ يَسِيرَةٌ، وَلَكِنَّهَا تَحمِلُ بَينَ سُطُورِهَا صِدقَ الحَيَاةِ، وَنَقَاءَ النِّيَّةِ، وَعَظَمَةَ التَّوَاضُعِ.

## ١- أَهَمِّيَّةُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ

كَانَ جَابِرٌ سَبَبًا فِي اسْتِقَامَةِ صَلَاحٍ،
وَصَلَاحٌ سَبَبًا فِي اسْتِقَامَةِ خَالِدٍ،
وَخَالِدٌ سَبَبًا فِي إِسْلَامِ آرْهَان.
فَمَا أَجْمَلَ الجَلِيسَ الصَّالِحَ!
وَمَا أَعْظَمَ أَثَرَهُ!
وَمَا أَحْسَنَ أَنْ يَتَّخِذَ المُسْلِمُ جَلِيسًا يُذَكِّرُهُ بِاللهِ،
وَيَعِينُهُ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، وَيَرْفَعُهُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ.
وَمَا أَشَدَّ خَطَرَ جَلِيسِ السُّوءِ!
فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ صَاحِبَهُ إِلَّا خَبَالًا،
وَلَا يُذَكِّرُهُ إِلَّا بِالدُّنْيَا،
وَيَجُرُّهُ إِلَىٰ مَعَاصِي اللهِ وَالفَسَادِ.
فَاخْتَرْ جَلِيسَكَ بِعِنَايَةٍ، فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ الخَيْرِ، أَوْ بَابٌ لِلشَّرِّ.
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ...
وَلَا تُصْحِبِ الْأَرْدَىٰ فَتَرْدَىٰ مَعَ الرَّدِي.
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ...
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي.

## ٢- الحُبُّ فِي اللهِ

يَتَجَلَّىٰ الحُبُّ فِي اللهِ فِي كَلِمَاتِ صَلَاحٍ لِأَخِيهِ خَالِدٍ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ حِينَ قَالَ لَهُ:

«أَنَا يَا خَالِدُ، مَا أَنَا مَرِيضٌ نَفْسِيًّا، وَلَا مِنْ مُدْمِنِي الجَوَّالِ، وَإِنَّمَا أَحْبَبْتُ أُنَاسًا، أَصْفِيَاءَ، أَنْقِيَاءَ، لَمْ أَجِدْ فِي حَيَاتِي مِثْلَهُمْ؛ أَخْرَجُونِي بِكَلَامِهِمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الدُّنْيَا، إِلَىٰ نُورِ الإِسْلَامِ.

عَرَفْتُ رَبِّي - فِي خِلَالِ أَشْهُرٍ قَلِيلَةٍ - عَنْ طَرِيقِهِمْ، يَا خَالِدُ، فَهَلْ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ يُعَدُّ مَرِيضًا نَفْسِيًّا؟ لَا وَاللهِ، يَا خَالِدُ!

أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْهُمْ، وَلَمْ تَتَكَلَّمْ مَعَهُمْ، وَلَمْ تَسْمَعْ حَتَّىٰ قَوْلَهُمْ؛ فَكَيْفَ تَحْكُمُ عَلَيْهِمْ؟

وَاللهِ، يَا خَالِدُ، إِنِّي أَحْبَبْتُ رَبِّي، وَأَحْبَبْتُهُمْ فِيهِ، وَأَشْعُرُ أَنَّ اللهَ ابْتَلَانِي بِمَنْ أُحِبُّ؛ لِيُقَرِّبَنِي إِلَيْهِ وَإِلَيْهِمْ.

أَنَا اسْتَمَعْتُ لِكَلَامِهِمْ، فَوَجَدْتُهُ كُلَّهُ صِدْقًا، وَنُصْحًا، وَمَحَبَّةً،

خُطَبًا كَانَتْ، أَوْ مُحَاضَرَاتٍ، أَوْ دُرُوسًا، كُلُّ ذَلِكَ يَجْعَلُكَ تَعِيشُ كَأَنَّكَ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

يُذَكِّرُونَكَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يُرِيدُونَ مِنْكَ شَيْئًا،

إِنَّمَا يُرِيدُونَ - فَقَطْ - نَجَاتَكَ مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَمَا أَمَرَكَ.

فَوَاللهِ، يَا خَالِدُ، إِنِّي لَأُعِزُّهُمْ كَأَهْلِي، بَلْ أَكْثَرَ،

وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يُوَفِّقَنِي لِزِيَارَتِهِمْ، أَزُورَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا!».

مَا أَعْظَمَ الحُبَّ فِي اللهِ!

رِبَاطٌ نَقِيٌّ، لَا يُفْسِدُهُ مَصْلَحَةٌ، وَلَا تُشَوِّهُهُ دُنْيَا،

يَرْفَعُ صَاحِبَهُ، وَيُقَرِّبُهُ مِنَ اللهِ، وَيَكُونُ سَبَبًا فِي نَجَاتِهِ.

وأَحْبِبْ لِحُبِّ اللهِ مَن كَانَ مُؤْمِنًا ... وَأَبْغِضْ لِبُغْضِ اللهِ أَهْلَ التَّمَرُّدِ

وَما الدِّيْنُ إِلاَّ الحُبُّ والبُغْضُ والوَلاَ ... كَذَاكَ البَرا مِن كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدِ

## ٣- المُوَاسَاةُ

مِنْ أَعْجَبِ مَا يُرْوَىٰ فِي المُوَاسَاةِ وَالإِيثَارِ، مَا كَانَ بَيْنَ صَلَاحٍ وَخَالِدٍ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

فَقَدْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَحْمِلُ هَمَّ الآخَرِ، وَيُفَضِّلُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَيُؤْثِرُهُ بِالْقُرْبِ وَالدُّعَاءِ وَحَتَّىٰ بِالمَالِ.

يَقُولُ خَالِدٌ عَنْ صَلَاحٍ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ:

«قَبْلَ ثَلَاثَةِ أَسَابِيعَ، اتَّصَلَ عَلَيَّ مِنْ مِصْرَ، وَقَالَ لِي: يَا خَالِدُ، أَنَا بِعْتُ بَيْتِي، وَقَضَيْتُ دَيْنِي، وَمَا تَبَقَّىٰ فَهُوَ نَصِيبُكَ؛ تَعَالَ وَعَالِجْ وَلَدَكَ سُلَيْمَان.

فَقُلْتُ لَهُ: لَا، أَنْتَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنِّي.

فَوَاللهِ، إِنَّهُ أَبْكَانِي بِرَدِّهِ، حِينَ قَالَ:

وَمَا يُدْرِيكَ، يَا خَالِدُ، لَعَلَّ عَافِيَتِي وَحَاجَتِي تُقْضَىٰ عَلَىٰ يَدِ وَلَدِكَ سُلَيْمَان!».

مَا أَرَقَّهَا مِنْ كَلِمَاتٍ! وَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ نُفُوسٍ!

قُلُوبٌ نَقِيَّةٌ، تَغْلِبُ فِيهَا الرَّحْمَةُ وَالإِيثَارُ عَلَىٰ حُبِّ الذَّاتِ،

تَفَانٍ فِي العَطَاءِ، وَعَزْفٌ عَنِ الدُّنْيَا، وَثِقَةٌ بِأَنَّ الخَيْرَ لَا يُؤْتَىٰ إِلَّا بِخَيْرٍ.

وَتِلْكَ هِيَ أُخُوَّةُ الإِيمَانِ فِي أَنْقَىٰ صُوَرِهَا،

نَفْسٌ تُوَاسِي أُخْرَىٰ، وَقَلْبٌ يَشْرَبُ مِنْ نَبْعِ السَّمَاحِ وَالعَطَاءِ.

لَيسَ جُودُ الجَوادِ فِي فَضْلِ مالٍ ... إِنَّمَا الجُودُ لِلمُقِلِّ المُوَاسِي

## ٤- المَشَاعِرُ الصَّادِقَةُ العَفَوِيَّةُ

فِي زَمَنٍ كَثُرَ فِيهِ التَّصَنُّعُ، وَنَدَرَتِ المَحَبَّةُ لِوَجْهِ اللهِ،

تَلْمَحُ فِي كَلِمَاتِ خَالِدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صِدْقَ المَشَاعِرِ، وَعَفْوِيَّةَ الحُبِّ، وَعُمْقَ الحَنِينِ.

يَقُولُ فِي خِتَامِ حَدِيثِهِ عَنْ صَدِيقِهِ وَأَخِيهِ صَلَاحٍ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ:

«...وَأَعْتَذِرُ، فَلَمْ تَعُدْ تُطَاوِعُنِي بَنَانِي عَنِ الكِتَابَةِ،

فَقَدْ بَكَيْتُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ كَتَبْتُهَا،

لَيْسَ بُكَاءَ المُعْتَرِضِ - مَعَاذَ اللهِ - ،

وَإِنَّمَا بُكَاءُ الشَّوْقِ لِضِحْكَتِهِ، وَنَصَائِحِهِ، وَأَخْلَاقِهِ، وَأَدَبِهِ، وَحُبِّهِ، وَحَنَانِهِ، وَعَطْفِهِ، وَمَشَاعِرِهِ، وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ فِي السَّيْرِ إِلَىٰ اللهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ».

كَلِمَاتٌ نَبَعَتْ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ، صَدَقَ فِي المَحَبَّةِ، وَوَفَاءٌ فِي الصُّحْبَةِ.

لَا تَكَلُّفَ فِيهَا، وَلَا زَخْرَفَةَ أَلْفَاظٍ، وَإِنَّمَا صِدْقٌ يَنْقُبُ القَلْبَ وَيَبْلُغُ الرُّوحَ.

تِلْكَ هِيَ الصَّدَاقَةُ الَّتِي تَبْقَىٰ،

وَالحُبُّ الَّذِي لَا تَنْهَشُهُ الأَيَّامُ وَلَا تُفْنِيهِ المَسَافَاتُ،

إِنَّهُ الحُبُّ فِي اللهِ، وَإِلَىٰ اللهِ، وَمَعَ اللهِ.

## ٥- حِفْظُ مَشَاعِرِ العَوَامِّ

فِي دِينِنَا الرَّحِيمِ، لَا يُقَوَّمُ النَّاسُ بِمَظَاهِرِهِمْ، وَلَا يُزْدَرَىٰ مَنْ لَمْ يَظْهَرْ فِي المَجَالِسِ، أَوْ يَتَصَدَّرْ المَنَابِرَ،

فَكَمْ مِنْ "مَجْهُولٍ فِي الأَرْضِ، مَعْرُوفٍ عِنْدَ اللهِ".

يَقُولُ خَالِدُ الكِنْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ صَدِيقِهِ صَلَاحِ العَدَنِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذَاتَ يَوْمٍ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ صَلَاحٍ - غَفَرَ اللهُ لَهُ - ،

فَجْأَةً بَدَأَ يَبْكِي، وَأَنَا سَاكِتٌ،

قُلْتُ: لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَحْبَابَهُ، فَتَرَكْتُهُ، لَعَلَّهُ يَبْكِي وَيَرْتَاحُ،

وَلَمْ أَتَكَلَّمْ مَعَهُ، فَازْدَادَ بُكَاؤُهُ، وَارْتَفَعَ صَوْتُهُ حَتَّىٰ أَفْزَعَنِي!

فَقُلْتُ لَهُ: مَا بِكَ؟!

قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ أَحَدِ الإِخْوَةِ المُصَمِّمِينَ لِلْمَقَاطِعِ الدَّعَوِيَّةِ، وَكَانَ مُحْتَرِفًا فِيهَا،

قُلْتُ لَهُ: مَعَكَ صَلَاحُ العَدَنِيُّ، القَائِمُ عَلَىٰ قَنَاةِ "أُسُودِ السُّنَّةِ"،

هَلْ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ أَسْمَاءَ المَشَايِخِ مُزَخْرَفَةً، وَتُعَلِّمْنِي بَعْضَ الأُمُورِ؟!

فَكَانَ رَدُّهُ عَلَيَّ مُؤْلِمًا، قَالَ لِي: «أَنْتَ مَجْهُولٌ! وَلَا نَعْرِفُ حَالَكَ!

وَلَا أَنْتَ حَتَّىٰ طَالِبُ عِلْمٍ فِي أَيِّ مَرْكَزٍ! وَلَا حَتَّىٰ يَعْرِفُكَ أَحَدُ المَشَايِخِ!».

وَاللهِ العَظِيمِ، ذَاكَ اليَوْمِ كَانَ رَافِعًا يَدَيْهِ وَيَبْكِي،

وَدُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَىٰ خَدَّيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، أَنَا مَجْهُولٌ عِنْدَهُمْ، وَلَكِنْ أَنْتَ رَبِّي، تَعْرِفُنِي! يَا رَبِّ تَعْرِفُنِي أَنْتَ!

فَوَفِّقْنِي، وَكُنْ مَعِي، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ يَا رَبِّ، وَأُحِبُّ مَشَايِخِي، وَأُحِبُّ السُّنَّةَ وَأَهْلَهَا،

وَلَكِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لِي طَلَبُ العِلْمِ فِي المَرَاكِزِ».

وَكَانَ يَبْكِي وَيَدْعُو دُعَاءً يَكَادُ يَخْلَعُ القَلْبَ مِنْ مَكَانِهِ.

فَمَا أَعْظَمَ أَنْ نَحْفَظَ مَشَاعِرَ العَوَامِّ، وَأَنْ نَنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ، وَأَنْ نَتَأَدَّبَ مَعَ كُلِّ مَنْ أَحَبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا صَيْتٍ أَوْ شُهْرَةٍ.

فَمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ، وَإِنْ جَهِلَهُ النَّاسُ.

اِحْرِصْ عَلَىٰ حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الأَذَىٰ ... فَرُجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَصْعُبُ

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وُدُّهَا ... مِثْلُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لَا يُشْعَبُ

## ٦- الاسْتِفَادَةُ مِنْ دُرُوسِ وَمَوَاعِظِ العُلَمَاءِ وَطُلَّابِ العِلْمِ

العِلْمُ نُورٌ، وَمَنْ حُرِمَ العِلْمَ حُرِمَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَمَنْ بَعُدَ عَنِ العُلَمَاءِ وَطُلَّابِ العِلْمِ فَقَدْ بَعُدَ عَنِ الوَصْلِ بِالوَحْيِ، وَهُدَىٰ النُّبُوَّةِ.

وَلَكِنْ لا عُذْرَ لِمُحِبٍّ صَادِقٍ، فَالبَابُ اليَوْمَ مَفْتُوحٌ، وَسُبُلُ العِلْمِ مُمَهَّدَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ حُضُورِ المَجَالِسِ، فَلْيُجَاهِدْ نَفْسَهُ عَلَىٰ سَمَاعِ الدُّرُوسِ وَالخُطَبِ وَالمَوَاعِظِ، وَلَوْ عَنْ بُعْدٍ.

وَهَذَا مَا فَعَلَهُ صَلَاحُ العَدَنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَلَمْ تَكُنْ تُفَارِقُهُ سَمَّاعَةُ الجَوَّالِ، يَتَنَقَّلُ بَيْنَ مَوَاعِظِ المَشَايِخِ، وَخُطَبِهِم، وَدُرُوسِهِم، يَسْتَقِي مِنْهَا الهُدَىٰ، وَيَشْحَذُ بِهَا هِمَّتَهُ فِي طَرِيقِ اللهِ.

وَعَلَىٰ مَنْوَالِهِ سَارَ صَدِيقُهُ خَالِدٌ الكِنْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حَتَّىٰ وَهُوَ عَلَىٰ فِرَاشِ المَوْتِ.

فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ، كَانَ الأَخُ خَالِدٌ يَسْتَمِعُ فِي جَوَّالِهِ إِلَىٰ مُحَاضَرَةٍ لِلشَّيْخِ صَابِرٍ اللَّحْجِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَقَدْ وَضَعَ جَوَّالَهُ بِجِوَارِ رَأْسِهِ وَنَامَ،

فَأَخَذَ الطَّبِيبُ الجَوَّالَ، وَأَخَذَ يَسْتَمِعُ لِمُحَاضَرَةِ الشَّيْخِ صَابِرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَكَانَ الطَّبِيبُ الهِنْدِيُّ يَعْرِفُ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ، فَتَأَثَّرَ تَأَثُّرًا كَبِيرًا!

وَلَمَّا اسْتَيْقَظَ خَالِدٌ مِنْ نَوْمِهِ، رَأَىٰ الجَوَّالَ فِي يَدِ الطَّبِيبِ آرْهَان البُوذِيِّ،

وَالدُّمُوعُ تَذْرِفُ مِنْ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ لِخَالِدٍ: «هَذَا الكَلَامُ جَمِيلٌ وَمُؤَثِّرٌ، وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَمِعَ لِلْمَزِيدِ!».

فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الطَّبِيبِ آرْهَان فِي الإِسْلَامِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ.

فَطُوبَىٰ لِمَنْ كَانَ سَبَبًا فِي دَلَالَةِ غَيْرِهِ، وَسَعَىٰ فِي نَفْعِ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ، وَكَمْ فَتَحَ اللهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعَهَا العَبْدُ، قَلْبًا كَانَ مُغْلَقًا!

## ٧- التَّوَاصُلُ بِالعُلَمَاءِ وَطُلابِ العِلْمِ

مَا أَجْمَلَ أَنْ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِ صِلَةٌ بِالعُلَمَاءِ وَطُلَّابِ العِلْمِ، يَسْأَلُهُمْ فِي دِينِهِ، وَيَسْتَشِيرُهُمْ فِي أَمْرِهِ، وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَالفِتَنِ.

فَالعَالِمُ نُورٌ، وَطَالِبُ العِلْمِ مِصْبَاحٌ، وَالمُتَوَاصِلُ مَعَهُمْ سَائِرٌ عَلَىٰ طَرِيقِ النَّجَاةِ.

وَقَدْ كَانَ صَلَاحٌ وَخَالِدٌ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ عَلَىٰ تَوَاصُلٍ دَائِمٍ بِطُلَّابِ العِلْمِ، كَالشَّيْخِ رِدْمَان الحَبِيشِي، وَالشَّيْخِ عِيسَىٰ المُصَنَّف، وَغَيْرِهِمَا، يَسْتَفْتُونَهُمْ، وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْ عِلْمِهِم، وَيَتَزَوَّدُونَ مِنْ نُصْحِهِم.

وَقَدْ كَانَا يُحْسِنَانِ الظَّنَّ بِكَاتِبِ هَذِهِ السُّطُورِ، فَيَتَوَاصَلَانِ مَعَهُ، وَيَسْتَفِيدَانِ مِمَّا يُمْلِيهِ اللهُ عَلَيْهِ، وَيَعْلَمُ اللهُ أَنِّي أَنَا - الكَاتِبُ - قَدِ اسْتَفَدْتُ مِنْهُمَا كَثِيرًا، وَأَحْزَنَنِي فِرَاقُهُمَا.

وَلَوْلَا أَنَّ النُّفُوسَ تُوقِنُ بِاجْتِمَاعٍ ثَانٍ فِي دَارِ الكَرَامَةِ، لَظَلَّ الحُزْنُ لِفِرَاقِ مَنْ نُحِبُّ مُلازِمًا لَنَا حَتَّىٰ تُفَارِقَ الرُّوحُ الجَسَدَ.

وَلَكِنْ، لا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الخَاتِمَةَ، وَأَنْ يَجْمَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَنْ نُحِبُّ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَمِنْهُم جَابِرٌ، وَصَلَاحٌ، وَخَالِدٌ، وَآرْهَان، ومازنُ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

## ٨- التَّوَاصِي بِالْحَقِّ

ما أَجْمَلَ أَنْ يُوصِيَ الإِخْوَانُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْحَقِّ، وَيَأْخُذَ بَعْضُهُمْ بِأَيْدِي بَعْضٍ إِلَىٰ طَرِيقِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ. وَهَكَذَا كَانَ جَابِرٌ مَعَ صَلَاحٍ، يَحُثُّهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ، وَالثَّبَاتِ عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَقِّ، فَكَانَ صَلَاحٌ امْتِدَادًا لِهَذَا الْخَيْرِ، حَيْثُ قَالَ لِصَدِيقِهِ خَالِدٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ:

«يَا خَالِدُ، اقْتَرِبْ مِنَ السُّنَّةِ وَأَهْلِهَا، فَلَنْ تَنْدَمَ - بِإِذْنِ اللهِ -».

فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: «يَا صَلَاحُ، كَيْفَ أَقْتَرِبُ؟!

أَتُرَانِي أَتْرُكُ عَمَلِي وَبَيْتِي؟! وَأَنْتَ تَعْلَمُ حَالِي وَأَوْلَادِي، فَمَنْ يَتَكَفَّلُ بِهِمْ مِنْ بَعْدِي؟!».

فَرَدَّ عَلَيْهِ صَلَاحٌ قَائِلًا: «لَمْ أَقُلْ لَكَ: اتْرُكْ عَمَلَكَ، وَلَكِنْ تَعَلَّمْ وَأَنْتَ فِي بَيْتِكَ! اسْتَمِعْ لِلدُّرُوسِ، وَامْلَأْ وَقْتَكَ بِالْخَيْرِ، وَاجْعَلْ جَوَّالَكَ وَسِيلَةً تُقَرِّبُكَ مِنَ اللهِ، فَمَا عُذْرُكَ - يَا خَالِدُ - أَنْ تَبْقَىٰ بَعِيدًا؟!».

## ٩- الغَيْرَةُ عَلَى دِينِ اللهِ

تَتَجَلَّىٰ غَيْرَةُ صَلَاحٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ دِينِ اللهِ فِي مَوَاقِفَ كَثِيرَةٍ، يَرْوِيهَا صَدِيقُهُ خَالِدٌ قَائِلًا:

«...وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ غَيُورًا، شَدِيدَ الْغَيْرَةِ عَلَىٰ دِينِ اللهِ، يَغْضَبُ إِذَا تَأَخَّرْتُ عَنِ الصَّلَاةِ، أَوِ انْشَغَلْتُ بِالْعَمَلِ، وَيَزْعَلُ وَلَا يُكَلِّمُنِي، وَيَقُولُ: أَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ أُمِّي لِي وَلِأَخِي:

(قُومُوا نُصَلِّ، لَا أُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ مِنَّا أَحَدٌ فِي الْجَنَّةِ)،

وَأَنَا كَذَلِكَ، إِنْ يَسَّرَ اللهُ لِي الْجَنَّةَ، أُرِيدُكَ مَعِي!».

وَكَانَ يَتَّصِلُ عَلَيَّ عِنْدَمَا أَخْرُجُ لِنَقْلِ الْبَضَائِعِ وَقْتَ الصَّلَاةِ، وَيَسْتَحْلِفُنِي: هَلْ صَلَّيْتَ؟!

## ١٠- العَمَلُ لِهَذَا الدِّينِ

يَظْهَرُ صِدْقُ العَمَلِ لِهَذَا الدِّينِ فِي كَلَامِ خَالِدٍ عَنْ صَدِيقِهِ صَلَاحٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ حَيْثُ قَالَ:

«...وَكَانَ يُرْسِلُ إِلَيَّ مَقَاطِعَ، وَيَقُولُ: أَنَا مَنْ صَمَّمَهَا، وَيَفْرَحُ بِهَا، وَيَقُولُ: وَاللهِ يَا خَالِدُ، إِنَّهَا عِنْدِي تَساوِي الدُّنْيَا!

فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يَسْمَعُهَا، فَيَهْتَدِي بِهَا؟!

فَأَنَا أَحْبَبْتُ هَذِهِ الطَّرِيقَ، وَأَحَسُّ أَنَّهَا طَرِيقُ الْخَيْرِ، أَمْشِي فِيهَا مُسْرِعًا، وَأَشْعُرُ أَنَّ الْوَقْتَ فِيهَا قَصِيرٌ، وَالْخَيْرَ كَثِيرٌ».

وَقَالَ لِي: «أَنَا أَتْعَبُ، وَأُصَمِّمُ الصُّوَرَ، وَأَقُصُّ الصَّوْتَ، وَأَدْمِجُ، وَأَضْغَطُ، وَأَنْشُرُ وَحْدِي، وَالْقَنَوَاتُ الأُخْرَىٰ، كُلُّ وَاحِدٍ مَعَهُ مَنْ يُسَاعِدُهُ، أَمَّا أَنَا فَوَحْدِي، أُعَلِّمُكَ التَّصْمِيمَ؛ لَعَلَّكَ تَتَقَرَّبُ، كَمَا تَقَرَّبْتُ أَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ النَّاسِ».

وَعَلَّمَنِي - وَاللهِ - كَيْفَ أُصَمِّمُ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ، وَكَانَ يَتْعَبُ وَأَنَا لَا أَفْهَمُ كَثِيرًا، فَأَتْعَبُ وَأَتَضَايَقُ، وَهُوَ يُصِرُّ عَلَيَّ، وَيَتَلَطَّفُ بِي، وَيَقُولُ: «أَنَا لَوْ مُتُّ، أَنْتَ وَهَارُونُ بَعْدِي تَعَاوَنُوا وَأَكْمِلُوا مَا بَدَأْنَا!».

فَكَذَلِكَ كَانَ خَالِدٌ، حَتَّىٰ آخِرِ رَمَقٍ مِنْ حَيَاتِهِ، يُوصِي هَارُونَ مِزَاحِمٌ بِالتَّصْمِيمِ، خِدْمَةً لِلسُّنَّةِ وَأَهْلِهَا.

يَقُولُ هَارُونُ مِزَاحِمٌ - شَفَاهُ اللهُ - : «كُنْتُ قَبْلَ دُخُولِ خَالِدِ الْكِنْدِيِّ إِلَىٰ العَمَلِيَّةِ الأَخِيرَةِ، أَتَحَدَّثُ مَعَهُ، وَكَأَنَّهُ يُوَدِّعُنِي... وَجَعَلَ يُوصِينِي بِالْمَشَايِخِ خَيْرًا، وَيُعْطِينِي أَرْقَامَ بَعْضِ مَنْ يُصَمِّمُ لَهُمْ، وَحِينَهَا بَكَيْتُ، وَلَمْ أَتَمَالَكْ نَفْسِي، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا وَدَاعٌ! فَيَا رَبِّ، احْفَظْ أَخِي!».

وَاسْتَمَرَّ يَسْتَأْمِنُنِي عَلَىٰ الْمَشَايِخِ، وَكَانَتْ آخِرُ لَحَظَاتٍ لَهُ مَعِي - قَبْلَ دُخُولِهِ الْعَمَلِيَّةَ - كَأَخِي وَحَبِيبِي الرَّاحِلِ، صَلَاحِ العَدَنِيِّ - هَكَذَا صَنَعَ مَعِي - كَانَ يَكْتُبُ وَصِيَّةَ الْوَدَاعِ عَلَىٰ حِسَابِي، وَأَنَا أَبْكِي، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مُوَدِّعٌ، وَيَقُولُ لِي: «أَكْتُبُ لَكَ رِسَالَةً لِتُعَدِّلَهَا يَا هَارُونُ»، وَبَعْدَ الْوَصِيَّةِ، أَرْسَلَ لِي أَرْقَامَ كُلِّ مَنْ يُصَمِّمُ لَهُمْ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَهَكَذَا كَانَ آخِرُ كَلَامٍ لَهُمَا مَعِي، كَمَا بَدَأْنَا فِي التَّصْمِيمِ وَالنَّشْرِ، انْتَهَىٰ بِنَا المَطَافُ إِلَىٰ التَّوَاصِي بِهِ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وَأَسْكَنَهُمُ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَىٰ مِنَ الجَنَّةِ.

## ١١- الدَّعْوَةُ بِالأَخْلَاقِ وَالأَدَبِ

إِنَّ الدَّاعِيَةَ إِلَىٰ اللهِ كِتَابٌ مَفْتُوحٌ، وَسِفْرٌ مَشْرُوحٌ، تَقْرَؤُهُ الْعُيُونُ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَهُ الْآذَانُ.

فَقَدْ كَانَ لِأُسْلُوبِ جَابِرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَأَخْلَاقِهِ أَعْظَمُ الأَثَرِ فِي سُلُوكِ صَلَاحٍ طَرِيقَ السُّنَّةِ، فَأَثَّرَ صَلَاحٌ فِيمَنْ حَوْلَهُ، وَمِنْهُمْ خَالِدٌ، وَكَذَلِكَ كَانَ خَالِدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَبِأَدَبِهِ وَأَخْلَاقِهِ تَأَثَّرَ بِهِ مَنْ حَوْلَهُ، وَمِنْهُمْ الطَّبِيبُ الْهِنْدِيُّ "آرْهَان"، الَّذِي كَانَ سَبَبًا فِي إِسْلَامِهِ بَعْدَ مَعَايَنَتِهِ لِحُسْنِ الْخُلُقِ وَرِقَّةِ القَلْبِ.

وَإِنَّمـا الأُمَـمُ الأَخـلاقُ مـا بَقِيَـت ... فَـإِن تَوَلَّـت مَضَـوا في إِثرِهـا قُـدُما

قالَ حافِظُ إِبراهِيمَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَـإِذَا رُزِقْـتَ خَلِيقَـةً مَحْمُـودَةً ... فَقَـدِ اصْـطَفَاكَ مُقَسِّـمُ الأَرْزَاقِ

## ١٢- هَضْمُ النَّفْسِ، وَالشُّعُورُ بِالتَّقْصِيرِ

مِنْ أَجَلِّ مَا يَتَحَلَّىٰ بِهِ طَالِبُ العِلْمِ، أَنْ يَكُونَ مُتَّهِمًا لِنَفْسِهِ، خَائِفًا مِنَ الرِّيَاءِ، مُتَجَرِّدًا مِنَ الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالْغُرُورِ، وَهَذِهِ خِلَالٌ ذَمِيمَةٌ قَدْ يُزَيِّنُهَا الشَّيْطَانُ لِبَعْضِ طَلَبَةِ العِلْمِ، وَحَمَلَةِ الدَّعْوَةِ، فَيُوهِمُهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ سَبَقُوا غَيْرَهُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَلَهُمْ فِي السُّنَّةِ قَدَمٌ ثَابِتَةٌ، وَغَفَلُوا عَمَّا أَكْرَمَ اللهُ بِهِ بَعْضَ عَوَامِّ أَهْلِ السُّنَّةِ، كَصَلَاحٍ وَخَالِدٍ - فِيمَا نَحْسِبُهُم - مِمَّنْ تَجَلَّىٰ فِي سُلوكِهِمْ خُلُقُ هَضْمِ النَّفْسِ، وَالشُّعُورُ بِالتَّقْصِيرِ، وَإِنْ عَمِلُوا خَيْرًا كَثِيرًا.

وَيَتَجَلَّىٰ ذَلِكَ فِي كَلَامِ صَلَاحٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لِصَدِيقِهِ خَالِدٍ، حِينَ قَالَ لَهُ:

«مَا أَبْكِي يَا خَالِدُ زَوْجَتِي، وَلَا وَلَدِي، وَلَا أَخِي، أَنَا أَبْكِي نَفْسِي!

فَقَدْ ضَيَّعْتُ عُمْرِي بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، أَبْكِي عَلَىٰ أَيَّامٍ تَهَاوَنْتُ فِيهَا عَنِ الصَّلَاةِ، وَغَفَلْتُ عَنِ الْقُرْآنِ، وَلَمْ أَطْلُبِ الْعِلْمَ، أَنَا سَأَمُوتُ، وَمَا عِنْدِي شَيْءٌ لِرَبِّي، مَاذَا أَقُولُ لَهُ حِينَ يَسْأَلُنِي: مَا عَمِلْتَ فِي عُمْرِكَ؟!».

ثُمَّ أَخَذَ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا.

وَإِنَّ هَضْمَ النَّفْسِ أَدَبٌ نَادِرٌ، وَخُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَكَابِرِ، يَظْهَرُ أَحْيَانًا فِي بَعْضِ الْعَوَامِّ، فَيَكُونُ أَفْضَلَ وَأَسْلَمَ قَلْبًا مِنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ ظَهَرَ بِسِمَةِ العِلْمِ، وَلَمْ يُزَكِّ نَفْسَهُ بِالتَّوَاضُعِ وَالخَشْيَةِ.

## ١٣- الإِخْلاصُ فِي دَعْوَةِ النَّاسِ

مَنْ أَخْلَصَ فِي دَعْوَةِ النَّاسِ، وَصَدَقَ فِي نَصِيحَتِهِ، فَتَحَ اللهُ لَهُ الْقُلُوبَ قَبْلَ الْآذَانِ، وَجَعَلَ لِكَلَامِهِ رُوحًا مِنَ التَّأْثِيرِ وَالنُّفُوذِ، وَنُورًا يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ يَشَاءُ.

وَأَحْسَبُ جَابِرًا، وَصَلَاحًا، وَخَالِدًا رَحِمَهُمُ اللَّهُ مِمَّنْ أَخْلَصَ فِي دَعْوَتِهِ، وَاللهُ حَسِيبُهُمْ، يَظْهَرُ ذَلِكَ فِي تَأَثُّرِ صَلَاحٍ بِنَصِيحَةِ جَابِرٍ، وَخَالِدٍ بِنَصِيحَةِ صَلَاحٍ، وَفِي إِسْلَامِ الطَّبِيبِ الْهِنْدِيِّ آرْهَان بَعْدَ تَأَثُّرِهِ بِنَصِيحَةِ خَالِدٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَلَمْ يَكُنْ أَثَرُهُمْ مَوْقُوفًا عَلَىٰ الْعَوَامِّ، بَلْ بَلَغَ كَذَلِكَ إِلَىٰ بَعْضِ طَلَبَةِ العِلْمِ، وَمِنْهُمْ كَاتِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ، الَّذِي أَثَّرُوا فِي نَفْسِهِ كَثِيرًا، وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْزِيَهُمْ عَنا وَعَنْ دَعْوَتِهِ خَيْرَ الجَزَاءِ.

## ١٤- حَنَانُ زَوْجَةِ الأَبِ

حينَ تَكُونُ زَوْجَةُ الأبِ حَنُونَةً، فَالدُّنْيَا لَا تَزَالُ بِخَيْرٍ.

حِينَ تَمْتَدُّ يَدُهَا بِالْحَنَانِ لَا بِالْخِصَامِ، وَتَغْدُو الأُمَّ الثَّانِيَةَ لَا الغَرِيبَةَ، تَنبتُ فِي الْقُلُوبِ طُمَأْنِينَةً يَصْعُبُ وَصْفُهَا.

لَيْسَتِ الأُمُّ مَنْ أَنْجَبَتْ فَقَطْ، بَلْ مَنْ حَضَنَتْ وَدَاوَتْ وَمَسَحَتْ دَمْعَةً دُونَ مَنٍّ أَوْ اِنتِظَارٍ لِلْمُقَابِلِ.

وَكَمْ مِنْ امْرَأَةٍ دَخَلَتْ بَيْتًا غَرِيبًا فَحَوَّلَتْهُ دَفْئًا، وَأَطْفَأَتْ فِيهِ نَارَ الفَقْدِ، وَزَرَعَتْ فِي زَوَايَاهُ سَكِينَةً لَا تُشْتَرَىٰ.

مَاتَتْ أُمُّ صَلَاحٍ رَحِمَهَا ٱللَّهُ وَهُوَ فِي الشَّهْرِ الثَّالِثِ مِنْ عُمْرِهِ، فَنَشَأَ فِي حِجْرِ زَوْجَةِ أَبِيهِ، الَّتِي كَانَتْ نِعْمَ الأُمِّ الْحَنُونِ، فَأَنْسَتْهُ مَرَارَةَ الْفَقْدِ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ أُمًّا غَيْرَهَا.

وَيَظْهَرُ أَثَرُ حَنَانِهَا وَصِدْقِ عِطْفِهَا فِي مَوَاقِفِهَا مَعَهُ؛ مِنْ حَثِّهَا لَهُ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، وَتَشْجِيعِهِ عَلَىٰ الخَيْرِ، وَدُعَائِهَا الْمُبَارَكِ لَهُ قُبَيْلَ مَوْتِهَا بِسَاعَاتٍ، وَقَدْ كَانَ لِتِلْكَ الدَّعَوَاتِ أَثَرٌ لَا يُنْسَىٰ، وَذِكْرَىٰ لَا تُطْوَىٰ.

## ١٥- الابْتِلاءُ

الِابْتِلَاءُ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ، وَرِفْعَةٌ فِي الْمَرَاتِبِ، وَتَطْهِيرٌ مِّنَ الذُّنُوبِ، وَمِيزَانُ صِدْقٍ فِي الْمَحَبَّةِ وَالْإِيمَانِ؛

فَكُلَّمَا اشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَىٰ الْعَبْدِ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ رِفْعَةِ مَنْزِلَتِهِ عِندَ اللهِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنّ عظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ وإنّ الله تَعَالَىٰ إذا أحَبَّ قَوْمًا ابْتلاهُمْ فَمَنْ رضي فله الرضا ومَنْ سَخِطَ فلَهُ السُّخْطُ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٢٣٩٦). وحسنه الألباني في"صحيح الجامع"(٢١١٠)

فَالْمُؤْمِنُ يُبْتَلَىٰ فِي نَفْسِهِ، وَوَلَدِهِ، وَمَالِهِ، وَأَحِبَّتِهِ، لَا جَزَعًا وَلَا يَأْسًا، بَلْ صَبْرًا وَرِضًىٰ وَاحْتِسَابًا، يَرْجُو مِنْ وَرَاءِ كُلِّ أَلَمٍ أَجْرًا، وَمِنْ وَرَاءِ كُلِّ دَمْعٍ قُرْبًا.

وَمَا مِنْ عَبْدٍ نَزَلَ بِهِ الْبَلَاءُ، فَثَبَتَ وَصَبَرَ، إِلَّا وَرَفَعَ اللهُ لَهُ قَدْرَهُ، وَكَفَّرَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَقَرَّبَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَكَانَ لَهُ الْبَلَاءُ بَابَ فَضْلٍ لَا نِقْمَةٍ، وَطَرِيقَ فَوْزٍ لَا خُذْلَانٍ.

وَقَدْ تَعَرَّضَ صَلَاحٌ رَحِمَهُٱللَّهُ لِصُنُوفٍ مِنَ الْبَلَاءِ؛ فَمَاتَ أَخُوهُ جَابِرٌ، وَتُوُفِّيَتْ زَوْجَتُهُ وَهِيَ فِي نِفَاسِهَا، ثُمَّ لَحِقَ بِهَا وَلَدُهُ مِنْهَا، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ وَالِدَتُهُ "أُمُّ جَابِرٍ"، وَأُصِيبَ بِأَمْرَاضٍ عَدِيدَةٍ مِنْهَا: السُّكَّرُ، وَسَرَطَانُ الْكَبِدِ، فَذَهَبَ لِلْعِلَاجِ فِي مِصْرَ، وَهُنَاكَ لَقِيَ رَبَّهُ، فَدُفِنَ فِي جِوَارِ أَخِيهِ جَابِرٍ - رَحِمَهُمُٱللَّهُ جَمِيعًا-.

وَكَذَلِكَ تَعَرَّضَ خَالِدُ الكِنْدِيُّ لِلِابْتِلَاءِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ؛ فَقَدْ مَاتَ ابْنُهُ سُلَيْمَانُ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ وَاحْتَسَبَهُ عِنْدَ اللهِ، ثُمَّ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَكَانَ يُعَانِي مِنْ مَرَضِ الْقَلْبِ، فَذَهَبَ لِلْعِلَاجِ إِلَىٰ مِصْرَ، ثُمَّ إِلَىٰ الْهِنْدِ، وَفِي الْهِنْدِ لَقِيَ رَبَّهُ، وَحُمِلَتْ جَنَازَتُهُ إِلَىٰ مِصْرَ؛ لِيُدْفَنَ فِي جِوَارِ أَخِيهِ صَلَاحٍ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

## ١٦- مَعرِفَةُ بَعضِ الحِكَمِ مِنَ الابتِلاءِ

فَالابْتِلاءُ لَيْسَ إِلَّا اخْتِبَارًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، لَيْسَ لِيُلْقِيَ بِنا فِي فَخِّ الضَّعْفِ أَوِ الأَلَمِ، بَلْ لِيُظْهِرَ لَنَا مَعْدِنَنَا الحَقِيقِيَّ، وَيُعَلِّمَنَا كَيْفَ نَصْمُدُ حِينَمَا تَمِيلُ بِنَا الرِّيَاحُ.

عِندَمَا نَعْرِفُ الحِكْمَةَ وَرَاءَ ابْتِلَائِنَا، تَتَحَوَّلُ الصِّعَابُ إِلَىٰ فُرَصٍ لِلنُّمُوِّ، وَالأَلَمُ إِلَىٰ طُرُقٍ لِبُلُوغِ أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الصَّبْرِ.

إِنَّهُ فِي تِلْكَ اللَّحَظَاتِ، عِندَمَا نَرَىٰ مَا وَرَاءَ الحُجُبِ، يُدْرِكُ القَلْبُ أَنَّ البَلَاءَ كَانَ جِسْرًا يَقُودُنَا نَحْوَ التَّوْبَةِ وَالتَّقْوَىٰ، وَأَنَّ كُلَّ تَجْرِبَةٍ صَعْبَةٍ تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا دُرُوسًا عَظِيمَةً لَا يُمْكِنُ لِلرَّاحَةِ أَنْ تَمْنَحَنَا إِيَّاهَا.

الحِكْمَةُ مِنَ الابْتِلاءِ لَيْسَتْ دَائِمًا وَاضِحَةً فِي البِدَايَةِ، لَكِنْ مَعَ مَرُورِ الوَقْتِ، يُصْبِحُ لَدَيْنَا إِيمَانٌ رَاسِخٌ بِأَنَّ اللهَ لَا يَبْتَلِينَا إِلَّا لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا، وَأَنَّ كُلَّ مَا يَمُرُّ فِي حَيَاتِنَا هُوَ جُزْءٌ مِنْ خُطَّةٍ إِلهِيةٍ مِثَالِيةٍ.

فَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَنَا أَنَّ الأَلَمَ لَيْسَ النِّهَايَةَ، بَلْ بَدَايَةٌ لِفَهْمٍ أَعْمَقَ وَأَكْثَرَ نُورًا.

إِذَا أَدْرَكْنَا هَذِهِ الحِكْمَةَ، بَدَأْنَا نَرَىٰ فِي الابْتِلاءَاتِ نِعْمَةً، وَفِي الصِّعَابِ سُبُلًا لِلْارْتِقَاءِ إِلَىٰ أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الإِيمَانِ.

وَقَد بَانَ هَذَا فِي كَلَامِ صَلَاحٍ لِأَخِيهِ خَالِدٍ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ حِينَ قَالَ:

«اكتَشَفتُ أَنَّ اللهَ ابتَلَانِي مَحَبَّةً لِي، لِيُقَرِّبَنِي إِلَيهِ، وَيُعَوِّضَنِي بِإِخوَانٍ وَمَشَايِخَ أُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَنِي كَثِيرًا.

هَلْ تُصَدِّقُ أَنَّهُ يَدخُلُ عَلَيَّ إِخوَةٌ لَا أَعرِفُهُم، يُعَزُّونَنِي وَيُوَاسُونَنِي، فَأَقُولُ لَهُم: مَن أَنتُم؟ فَيُجِيبُونَ: أَخٌ فِي اللهِ يُحِبُّكَ، سَمِعْتُ بِمُصَابِكَ فَأَحْبَبْتُكَ».

وَقَالَ لِي أَحَدُهُم:

«يَا صَلَاحُ، وَكَأَنِّي سَمِعْتُ هَاتِفًا يَقُولُ: قُلْ لِصَلَاحٍ: اشدُدْ عَلَىٰ ثَغرِكَ، يَعْلُ قَدرُكَ!».

## ١٧- الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ بُشْرَى خَيْرٍ

الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَقَدْ تَكُونُ بُشْرَىٰ لِلصَّالِحِينَ، وَتَسْلِيَةً لِقُلُوبِهِمْ، وَتَثْبِيتًا لِلرَّاجِينَ رَحْمَةَ اللهِ.

وَقَدْ كَانَتْ نِهَايَةُ الْأَخِ خَالِدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَسْبُوقَةً بِرُؤْيَا صَادِقَةٍ، رَآهَا نَفْسُهُ، حِينَ قَالَ: «رَأَيْتُ صَلَاحًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ لِي: تَعَالَ يَا خَالِدُ، فَقَدْ جَهَّزْتُ لَكَ كُرْسِيًّا بِجِوَارِي، وَكَانَ ذلِكَ الْمَكَانُ بِجِوَارِ الْعُلَمَاءِ».

فَعَبَّرَهَا لَهُ الثِّقَاتُ: بِأَنَّهَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ الْمَوْتِ وَاللَّحَاقِ بِصَدِيقِهِ، فَوَقَعَتْ كَمَا عُبِّرَتْ، فَسُبْحَانَ مَنْ بِيَدِهِ الْمَوَاعِيدُ وَالْأَجَلُ الْمُسَمَّىٰ.

## ١٨- عُلُوُّ الْهِمَّةِ فِي خِدْمَةِ الدَّعْوَةِ وَعَمَلِ الْخَيْرِ

إِنَّ عُلُوَّ الْهِمَّةِ مِفْتَاحُ الرِّفْعَةِ، وَسِرُّ النَّجَاحِ، وَعَلَامَةُ صِدْقِ الْعَبْدِ فِي سَيْرِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

فَمَا رَاقَ فِي أَعْيُنِ الْعُظَمَاءِ كَسَبْقِ الزَّمَنِ بِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ، وَلَا تَفَاخَرَ الْمُتَفَاخِرُونَ بِشَيْءٍ كَمَا تَفَاخَرُوا بِهِمَمٍ لَا تَرْضَىٰ بِالدُّونِ، وَلَا تَسْتَقِرُّ فِي وَادِي الْفُتُورِ وَالْخُمُولِ.

وَفِي هَذَا الْمِضْمَارِ، لَمَعَ نَجْمُ خَالِدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي سَمَاءِ الْجِدِّ وَالْمُسَارَعَةِ.

يَرْوِي هَارُونُ عَنْهُ فَيَقُولُ: «كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ، فَإِذَا بِي أَسْمَعُ مِنْهُ كَلِمَاتِهِ الْمَأْلُوفَةَ، وَصَوْتَهُ الْحَارَّ يَقُولُ: (صَمِّمْهَا يَا هَارُون! عَجِّلْ! أَسْرِعْ! أَسْرِعْ!)، ثُمَّ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة طه: ٨٤]».

فَمَا رَأَيْتُ أَسْرَعَ مِنْهُ فِي خِدْمَةِ الدَّعْوَةِ، وَلَا أَشَدَّ حِرْصًا عَلَىٰ نَفْعِ النَّاسِ.

كَانَ يَتَمَنَّىٰ مَنْ يُعِينُهُ عَلَىٰ "الدَّمْجِ" فَقَط، وَأَمَّا "النَّشْرُ" فَكَانَ يَتَوَلَّاهُ وَحْدَهُ، وَكَأَنَّ خَلْفَهُ فَرِيقًا بِأَكْمَلِهِ!

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ إِذَا قُلْتُ لَهُ بَعْدَ إِنْجَازِ عَمَلٍ دَعَوِيٍّ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة طه: ٨٤].

فَيَشْرُقُ وَجْهُهُ، وَتَغْمُرُهُ السَّعَادَةُ.

## ١٩- نَفَحَاتُ سَلامَةِ الصَّدْرِ

ما أَطْيَبَ الحياةَ مع قلوبٍ نقيَّةٍ، لا تَحمِلُ حِقدًا، ولا تُقيمُ في أرجائِها ضغينة!

وما أَجْمَلَ الصَّفْحَ عند القُدرة، والحِلمَ عند الغضب ... فبِسَلامةِ الصَّدرِ تُعمَّرُ المحبَّة، وتُروَىٰ ظِلالُ الإيمان.

يقول خالد الكنديُّ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد كان علىٰ سَريرِ المرضِ في أحد مستشفيات الهند، يُناجي الذكرىٰ بصوتٍ يَبلُلهُ الأسىٰ:

«رَحِمَ اللهُ أَخِيَ الحَبِيبَ أَبَا تِيمِيَّةَ صَلَاحَ العَدَنِيَّ، فَقَدْ كَانَ قِمَّةً فِي الأَدَبِ، وَالتَّسَامُحِ، وَصَفَاءِ النَّفْسِ، وَنَقَاءِ السَّرِيرَةِ».

ثم يروي أحدُ الإخوة موقفًا من مواقف النُّبل:

«دخلتُ علىٰ صلاحٍ وأنا في ضيقٍ وهمٍّ، فاستقبلني بمزحةٍ خفيفة، فغضبتُ، وفجّرتُ ما في نفسي من كَدَرٍ وغضبٍ عليه... وصلاحٌ ساكِتٌ، لم يَرُدَّ بكلمةٍ واحدة.

وبَعد ساعة، دخلتُ عليه معتذرًا، وقلت: (هل زعلت؟ أنا أعتذر منك).

فابتسم وقال: (لا تعتذر مني... ما فائدتي إنْ حملتُكَ في وقتِ راحتك، ولم أحملك في وقتِ ضيقك؟!

أنتَ أخي، وإنْ عاملتَني بغير عادتك، ألتمس لك سبعين عذرًا، وأقول: لعلَّ لأخي عذرًا لا أعلمه...)».

قال خالد الكندي:

«نَعَم، هذِهِ هِيَ أَخْلَاقُ صَلَاحٍ... كم كنتُ أغضبُ عليه، وهو ساكِتٌ.

وليس ذلك ضعفًا، لا والله، بل هي القوةُ بعينها ... أن تَسكتَ في وقت الغضب، وتكتمَ ما في النفس، ولا تسمحَ للشيطان أن يقطع حبالَ الودِّ بينك وبين إخوانك!».

## ٢٠- الْوَفَاءُ

الوفاءُ خُلُقُ العُظَماءِ، وسِمَةُ النُّبَلاءِ، وقِلادَةٌ لا تَلِيقُ إلَّا بِصادِقِ الوُدِّ، طاهِرِ القَلْبِ؛ مَن لا يَنسىٰ فَضْلَ مَن أَحْسَنَ، ولا يَغفُلُ عن عَهْدِ مَن مَنَحَ.

هو ثَباتُ القَلْبِ علىٰ العَهْدِ، ودوامُ الجميلِ في زَمنِ تَقَلُّبِ المصالِحِ وجَفاءِ القُلوبِ.

وإنْ تَأمَّلْتَ القِصَّةَ، رَأَيْتَ الوفاءَ فيها دُرَّةً نادِرَةً، ولُؤلُؤةً نَفِيسَةً، تُضِيءُ جَوانِبَ العَلاقاتِ بَيْنَهُم.

تَأمَّلْ وَفَاءَ "صَلاحٍ" لِأَخِيهِ "جَابِرٍ"، وتَنْفِيذَه وَصِيَّتَه مِن بَعْدِهِ حَرْفِيًّا، ومِن ذلكَ وَصِيَّتُهُ لَهُ بِالشَّيْخِ "عِيسَىٰ" المُصَنِّفِ؛ تَلْمَحُ ذلِكَ فِي كَلِمَاتِهِ، وَفِي وَصِيَّتِهِ بِهِ، وَفِي حَدَبِهِ عَلَيْهِ، حُبًّا، وَصَوْنًا، وَجَمِيلَ تَذَكُّرٍ.

ثُمَّ انظُرْ إلىٰ وَفَاءِ "خالدٍ" لِصلاحٍ، ومَا كانَ يَحمِلُ لهُ مِن مَحَبَّةٍ خالِصَةٍ، وحِرْصٍ دائمٍ.

وتَأمَّلْ وَفَاءَ "أَرْهانَ" لِمَن كانَ سَبَبًا في هِدايَتِهِ، كيفَ حَفِظَ الأَثَرَ، وصَانَ الجميلَ، وعَظَّمَ السَّبَبَ.

ثُمَّ لا يَفوتُكَ وَفَاءُ "مازِنٍ" للجَميعِ؛ وَفَاءٌ عَجيبٌ، قَلَّ أنْ تَرىٰ لهُ في هذا الزمانِ نَظيرًا، كأنَّما جُمِعَتْ خِصالُ الوفاءِ فيهِ وتَجَلَّت!

إنَّهُم رِجالٌ ما نَسُوا العَهْدَ، ولا طَوَوْا صَفَحاتِ الإحسانِ، بلْ بَقُوا أوفِياءَ كأنَّ الزمانَ لم يَتَغَيَّرْ، وكأنَّ القلوبَ لا تَنسىٰ.

## ٢١- الصِّدْقُ مَعَ اللَّهِ

ما أَعْظَمَ أَنْ يَرْزُقَ اللهُ عَبْدًا صِدْقَ النِّيَّةِ، وَصَفَاءَ السَّرِيرَةِ، وَإِخْلَاصَ الْوَجْهَةِ إِلَيْهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ! فَإِنَّ الصَّادِقِينَ مَعَ اللهِ هُمْ أَهْلُ الْقَبُولِ، وَإِنْ عَظُمَتْ بِهِمُ الْبَلَايَا، وَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَدْوَاءُ.

قَالَ مَازِنُ الْعِيدَرُوسُ - الصَّدِيقُ الْمُقَرَّبُ لِصَلَاحٍ وَخَالِدٍ - شَهَادَةً مُؤَثِّرَةً، وَنَصِيحَةً بَالِغَةً:

«وَاللهِ، لَقَدْ طُفْتُ الْأَرْضَ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَجَلَسْتُ مَعَ جَمِيعِ الْأَحْزَابِ، فَمَا وَجَدْتُ عِنْدَهُمْ إِلَّا الْكَذِبَ وَالتَّضْلِيلَ، وَالتَّدْلِيسَ وَالنِّفَاقَ، وَالْخِيَانَةَ وَالْغَدْرَ، وَوَجَدْتُ فِي صَلَاحِ الْعَدَنِيِّ وَخَالِدِ الْكِنْدِيِّ الْحُبَّ فِي اللهِ، وَالصِّدْقَ مَعَ اللهِ، وَالْإِخْلَاصَ لِلَّهِ، فِي شِدَّةِ مَا بِهِمْ مِنْ أَمْرَاضٍ وَعِلَلٍ وَأَسْقَامٍ، وَهُمْ مَعَ ذَٰلِكَ يَدْعُونَ إِلَىٰ اللهِ، وَكَأَنَّ اللهَ اصْطَفَاهُمْ، إِذْ عَلِمَ صِدْقَ مَحَبَّتِهِمْ، وَإِخْلَاصَهُمْ لَهُ».

ثُمَّ قَالَ:

«وَقَدْ أَحْبَبْتُ دَرْبَهُمْ وَطَرِيقَهُمْ، لِمَا رَأَيْتُ فِيهِمْ مِنْ صُورَةٍ جَمِيلَةٍ لِهٰذَا الْمَنْهَجِ الَّذِي يَتَّبِعُونَهُ، فَمَا وَجَدْتُ أُخُوَّةً صَادِقَةً إِلَّا مَعَ السَّلَفِيِّينَ؛ ذَاكَ يَدْعُو لَكَ، وَذَاكَ يَنْصَحُكَ، وَذَاكَ يُوَاسِيكَ، وَذَاكَ يَخَافُ عَلَيْكَ».

مِن أقوَالِ أهلِ الفَضلِ
في صَلاح العدني

# اِسْتِهْلالٌ

تَهادَتْ نَفَحاتُ الكَلِمِ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ، فَكانَتْ لِقَلْبِي عِطْرًا، وَلِكِتابِي طِيبًا.

وَهَا هِيَ بَعْضُ كَلِماتِهِمُ الزَّكِيَّةِ، وَفَاءً يُزْهِرُ، وَثَنَاءً يُعَطِّرُ.

فَكَفَىٰ بِمَا أَهْدَوْهُ بَلَسَمًا لِلْقَلْبِ، وَبَذْرًا لِلْوُدِّ، وَرَيحَانًا يَبْقَىٰ فِي رُوحِ الْحُرُوفِ وَذَاكِرَةِ الْمَحَبَّةِ.

## ١- الشَّيخُ رَدْمَانُ الحُبَيْشِيُّ - حَفِظَهُ اللهُ -

للشَّيخِ رَدْمَانَ مُحَاضَرَةٌ بَلِيغَةٌ مُؤَثِّرَةٌ عَنْ صَلَاحٍ العَدَنِيِّ، نَقْتَطِفُ مِنْهَا مَا يَأْتِي:

لقد بَلَغَنَا في هذا اليومِ نَبَأُ وَفَاةِ أَخِينَا الشَّابِّ الصَّالِحِ، الدَّاعِيَةِ النَّشِيطِ، أَبِي تِيمِيَّةَ صَلَاحٍ العَدَنِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونحن نُرَدِّدُ مَعَ الفَارُوقِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كَلِمَتَهُ الخَالِدَةَ:

«عَلَىٰ مِثْلِ أَبِي سُلَيْمَانَ فَلْتَبْكِ البَوَاكِي».

فَنَقُولُ: عَلَىٰ مِثْلِ أَبِي تِيمِيَّةَ فَلْتَبْكِ البَوَاكِي.

شَابٌّ لَمْ يَتَجَاوَزِ الرَّابِعَةَ وَالعِشْرِينَ، لَكِنَّهُ مَلَأَ سَاحَةَ الدَّعْوَةِ عَمَلًا وَبَذْلًا، نَاشِرًا لِلْخُطَبِ وَالمُحَاضَرَاتِ، مُصَمِّمًا لِلْمَقَاطِعِ، سَاعِيًا فِي نُصْرَةِ التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، مُخْلِصًا فِي خِدْمَتِهِ لِأَهْلِ العِلْمِ، لَا يَبْتَغِي مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللهِ.

كَانَ فِي أَيَّامِهِ الأَخِيرَةِ، بَلْ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ، يُرَاسِلُ المَشَايِخَ وَيُصَمِّمُ لَهُمُ المَوَادَّ الدَّعَوِيَّةَ، حَرِيصًا عَلَىٰ النَّشْرِ، مَشْغُولًا بِالخَيْرِ حَتَّىٰ اللَّحَظَاتِ الأَخِيرَةِ.

وَمِنْ أَعْمَالِهِ قَبْلَ الْوَفَاةِ: أَنَّهُ صَمَّمَ لِي بَعْضَ الخُطَبِ وَالمُحَاضَرَاتِ، فَمِنْهَا:

خُطْبَةُ: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ..."،

وَخُطْبَةُ: "مِنْ أَسْبَابِ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ"،

وَمُحَاضَرَةُ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ..."،

وَكَانَ يُكَرِّرُ: «أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْفَعَ بِي وَبِكَ الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ»،

كَلِمَاتٌ تَفِيضُ صِدْقًا وَهِمَّةً.

اشْتَرَىٰ أَجْهِزَةَ تَسْجِيلٍ وَأَرْسَلَهَا لِلْمَشَايِخِ وَالدُّعَاةِ، بَلْ قَالَ:

«هَذَا الجِهَازُ لَكَ»، وَهُوَ فِي فِرَاشِ المَرَضِ!

فَسُبْحَانَ مَنْ أَلْهَمَهُ حُسْنَ النِّيَّةِ، وَحَفَّزَهُ عَلَىٰ العَمَلِ حَتَّىٰ الرَّمَقِ الأَخِيرِ.

نَحْسَبُهُ مِمَّنْ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ»،

وَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ "عَسَّلَهُ اللهُ"، أَيْ: وَفَّقَهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ.

وَهُوَ فِي العِنَايَةِ المُرَكَّزَةِ، يُسْمَعُ مِنْهُ تِلَاوَةُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [سورة البقرة:٢٨٥].

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ تَكُونَ خَاتِمَتُهُ شَهَادَةً عَلَىٰ صَلَاحِهِ وَحُسْنِ مَآلِهِ.

ابْتُلِيَ بِفَقْدِ أَهْلِهِ وَزَوْجِهِ وَوَلَدِهِ، ثُمَّ لَحِقَ بِهِمْ،

فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْابْتِلَاءِ مَا يَعْظُمُ مَعَهُ الأَجْرُ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

نُعَزِّي أَنْفُسَنَا وَأَهْلَهُ وَأَحِبَّاءَهُ،

وَنَشْكُرُ لَهُ جَمِيلَ صَنِيعِهِ،

وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْزِيَهُ خَيْرًا،

وَأَنْ يَجْعَلَ مَا قَدَّمَهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ،

وَيَجْمَعَنَا بِهِ فِي جَنَّتِهِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ،

وَثَبِّتْهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ،

وَتَقَبَّلْهُ فِي الشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

## ٢- الشَّيْخُ عِيسَى الْمُصَنَّفُ - حَفِظَهُ اللهُ -

قَالَ - حَفِظَهُ اللهُ- :

أَخُونَا وَحَبِيبُنَا، الرَّاحِلُ إِلَىٰ رَبِّهِ: صَلَاحُ الْعَدَنِيُّ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مِنْ أَنْدَرِ مَنْ عَرَفْتُ وَسَمِعْتُ؛ قَدْ طَرَحَ اللهُ لَهُ الْقَبُولَ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَوْلِيَائِهِ الْـمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ بِفَضْلِ اللهِ، ثُمَّ بِفَضْلِ إِخْلَاصِهِ - فِيمَا نَحْسَبُهُ، وَاللهُ حَسِيبُهُ -. وَبِرَحِيلِهِ، انْكَسَرْتُ جِدًّا، وَكَأَنَّ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِي قَدْ سَقَطَ، وَرَبِّي.

وقال:

رَحِمَكَ اللهُ يا أَخِي وَسَنَدِي بَعْدَ اللهِ: صَلاحُ العَدَني...

كانَ يَقولُ لي: «أَتَمَنّىٰ أَنْ أَراك»، وَيُكْثِرُ مِن قَوْلِهِ: «اللهُ يَجْمَعُني بِكَ عاجِلًا غَيرَ آجِلٍ».

فَقُلتُ لهُ مَرّةً مِنَ المَرّاتِ: «واللهِ يا أَخِي صَلاح، لَوْلا أَنّنا نَعْتَقِدُ حُرْمَةَ التّصْويرِ، لَأَرْسَلْتُ لَكَ صُورَتي عَبْرَ الواتس».

فَقالَ لي: «إذا رَجَعْتُ مِنَ السّفَرِ، وَكَتَبَ اللهُ لي السّلامةَ، سَآتِي إِلَيْكَ بِإِذْنِ اللهِ تَعالىٰ».

وبَعْدَ يَومَيْنِ مِن هذَا الكَلامِ، تَواصَلَ مَعِي وَقالَ:

«أُبَشِّرُكَ أَنّي رَأَيْتُكَ فِي المَنامِ!

رَأَيْتُ كَأَنَّهُ جِيءَ بِكَ، فَإِذَا قائِلٌ يَقُولُ:

(يا صَلاح، هذا صاحِبُكَ وَصَديقُكَ عِيسَىٰ المُصَنَّفُ)،

ووَصَفَنِي، فَإِذَا الوَصْفُ مُطابِقٌ لِلرُّؤْيا».

فَرَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً واسِعَةً، وَأَسْكَنَهُ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَىٰ مِنَ الجَنّةِ.

واللهِ، لَقَدْ بَكَيْتُهُ وَحَزِنْتُ عَلَيْهِ جِدًّا،

حَتّىٰ إنّ وَالدَتي، أَسْمَعْتُها صَوْتَهُ وَهُوَ يَسْأَلُنِي عَنْ حالِها، فَبَكَتْ وَدَعَتْ لَهُ دُعاءً كَثِيرًا...

فَرَحِمَكَ اللهُ، وَأَعْلَىٰ دَرَجَتَكَ، أَخِي الحَبِيبُ الشَّهْمُ: صَلاح.

وقالَ:

فِي الزَّوايا خَبَايا،

وفِي الخَبَايا دَهَايَا...

أَخُونَا وَحَبِيبُنَا الرَّاحِلُ إِلَىٰ رَبِّهِ: أَبُو تِيمِيَّةَ صَلَاحُ العَدَنِيُّ،

نَمُوذَجٌ طَرِيٌّ، نَحْسَبُهُ ـ وَاللهُ حَسِيبُهُ ـ مِنْ خِيَارِ الصَّالِحِينَ، وَأَوْلِيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ.

❁۞❁

## ٣- الشَّيخُ ماهِرٌ الشَّاذِلِيُّ - حفِظَهُ الله -

لهُ محاضَرةٌ بليغَةٌ، نَجتَزِئُ منها ما يَأتي:

- ما عَرَفناهُ شَخصِيًّا، لكنْ مَحبَّتُهُ سَكَنَتِ القُلوبَ لِما ظَهَرَ مِن أَخلاقِهِ، وأَدَبِهِ، وغَيْرَتِهِ علىٰ السُّنَّةِ، وخِدمَتِهِ لدُروسِ العُلماءِ.

- ابْتُلِيَ بِفَقدِ أُمِّهِ، ثُمَّ أَخِيهِ، ثُمَّ زَوجِهِ، ثُمَّ وَلَدِهِ، فَصَبَرَ واحْتَسَبَ، وكانَ آخِرُ تَواصُلٍ بَينَنا قَبلَ عَمَلِيَّتِهِ في مِصر، ثُمَّ وَافَتْهُ المَنِيَّةُ.

- ماتَ علىٰ السُّنَّةِ، مُحبًّا لها، ناشِرًا للخيرِ، ذاكِرًا شاكِرًا، نَحسَبُهُ كذلكَ ولا نُزَكِّيهِ علىٰ اللهِ.

- قَدْ أَثنَىٰ عليهِ الثِّقاتُ، وأَلْسِنَةُ الصَّادِقِينَ شَهِدَتْ بجَمِيلِهِ، وقد قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنتُم شُهَدَاءُ اللهِ في الأَرضِ، مَن أَثنَيْتُم عليهِ خَيْرًا، وَجَبَتْ لهُ الجَنَّةُ».

❁۞❁

**٤- الدَّاعِيَةُ المُبارَكُ: أَبُو سُفْيَانَ مَازِن بَاوَهَال الشَّبَوِيُّ - حَفِظَهُ اللهُ -**

قَالَ: صَلَاحُ العَدَنِيُّ - غَفَرَ اللهُ لَهُ - كَانَ كَزُجَاجَةِ عِطْرٍ، كَسَرَهُ البَلَاءُ، فَفَاحَ نَسِيمُ عِطْرِهِ فِي أَرْجَاءِ العَالَمِ؛ يُعَزُّونَ فِيهِ، وَيَدْعُونَ لَهُ مِن كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ، وَهَذَا مِن فَضَائِلِ البَلَاءِ.

رَحِمَهُ اللهُ، وَغَفَرَ لَهُ.

وَقَدْ قَالَ لِي أَخُونَا صَلَاحٌ: «لَوْلَا هَذَا البَلَاءُ، لَمَا كَسِبْتُ مَحَبَّةَ إِخْوَانِي وَدُعَاءَهُمْ».

❁❁❁

**٥- الدَّاعِيَةُ المُبَارَكُ أَبُو إِلْيَاسَ مُحَمَّدُ النَّخْلَانِي - حَفِظَهُ اللهُ -**

قَالَ: بَعضُ النَّاسِ جَوَاهِرُ مَسْتُورَةٌ، تُعْرَفُ قِيمَتُهُمْ إِذَا فُقِدُوا...

فَرَحِمَ اللهُ صَلَاحًا، وَغَفَرَ لَهُ، وَجَمَعَنَا بِهِ فِي جَنَّاتٍ.

❁❁❁

**٦- الداعِيَةُ المُبارَكُ عَبْدُالرَّقِيبُ بْنُ أَمِينٍ - حَفِظَهُ اللهُ -**

قَالَ: رَحِمَ اللهُ أَخَانَا صَلَاحًا، فَقَدْ كَانَ ذَا جُهْدٍ مَلْمُوسٍ، وَرُوحٍ تَوَّاقَةٍ لِلْخَيْرِ، نَافِعًا لِلْغَيْرِ.

❁❁❁

**٧- عَاصِمُ الْبَيْطَارِ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ وَسَمَهَا بِـشَذَى الصَّلَاحِ:**

جَاءَتْنِي رِسَالَةٌ عَبْرَ "الوَاتْسَابْ" مِنْ رَقْمِ أَخِينَا صَلَاحِ العَدَنِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ،

فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا بِتَعَجُّبٍ وَاسْتِغْرَابٍ،

فَإِذَا هُوَ الأَخُ خَالِدٌ الكَنْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الْقَائِمُ عَلَىٰ قَنَوَاتِهِ يَنْشُرُ خَيْرَهُ مِنْ بَعْدِهِ!

فَهَيَّجَنِي الأَمْرُ، وَاهْتَزَّ القَلْبُ لِطَيْفِ الذِّكْرَىٰ،

وَأَشْرَفَتِ الرُّوحُ مِنْ نَافِذَةِ الْحَنِينِ،

فَخَرَجَ مِنِّي هَذَا النَّظْمُ، وَفَاءً لِمَنْ مَضَوْا عَلَىٰ طَرِيقِ الْهُدَىٰ،

تَزَكَّىٰ بِهِ قُلُوبُ الْمُحِبِّينَ، وَتَرْتَقِي بِهِ الأَرْوَاحُ إِلَىٰ عِطْرِ شَذَىٰ الصَّلَاحِ.

رَحِـمَ الْمُهَـيْمِنُ ذُوْ الْجَـلَالِ صَـلَاحَا ... وَجَـــزَاهُ رَبِّـــيْ مِنَّـــةً وَسَـــمَاحَا
قَـدْ كَـانَ مِـنْ أَهْـلِ الصَّـلاحِ وَذِكْـرُهُ ... فِـيْ النَّـاسِ خَيْـرٌ كَالشَّـذِىٰ فَوَّاحَـا
لِلـــه سَـــخَّرَ وَقْتَـــهُ فِـــي نَشْـــرِ مَـــا ... يُجْلِـيْ الْهُمُـوْمَ وَيُـنْعِشُ الْأَرْوَاحَـا
عَـاشَ الْحَيَـاةَ مُكافحـًا وَمُثَـابِراً ... وَيُوَاجِـــــهُ الْآلَام وَالْأَتْرَاحَـــــا
الصَّـبْرُ كَـانَ لَـهُ رَفِيْقـًا مُؤْنِسـًا ... جَعَـلَ الرِّضَـا لِلنَّائِبَـاتِ سِـلَاحَا
إِنَّـــا لَنَرْجُـــوْا أَنَّـــهُ فِـــيْ جَنَّـــةٍ ... وَمِـــنَ الْمَتَاعِـــبِ والْعَنَـــاءِ ارْتَاحَـــا
إِنْ كَـانَ قَـدْ غَـابَ الصَّـلَاحُ بِجِسْـمِهِ ... فَمُقَامُـــهُ فِيْنَـــا أَخِـــيْ مَـــا رَاحَـــا
هَـــذِي مَـــآثِرُهُ تُـــذَكِّرُنَا بِـــهِ ... وَنَعِيْشُـــهَا دَوْمـــًا مَسَّـــا وَصَـــبَاحَا
رَحِـمَ الْإِلـهُ ثَـرَاهُ فِـيْ دَارِ الْعُـلا ... وَهُنَـاكَ يَلْقَـىٰ الْأُنْـسَ والْأَفْرَاحَـا

أبو عمران عاصم البيطار

السبت ٢١ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٤٦هـ

❁❁❁

## ٨- أَرْمَلَةٌ كَانَ صَلاحٌ يَكْفُلُهَا هِيَ وَابْنَتَهَا الْيَتِيمَةَ:

مَاتَ وَلَدِي مِنْ لَحْمِي وَدَمِي...

وَاللهِ مَا كُنْتُ أَعْرِفُ صَلَاحًا، وَلَا الْتَقَيْتُ بِهِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً.

تُوُفِّيَ زَوْجِي فِي الْمُسْتَشْفَىٰ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الْمَوْقِفَ، فَرَقَّ لِحَالِي، وَسَأَلَنِي رَقْمِي، ثُمَّ لَمْ يَتْرُكْنِي مِنْ يَوْمِهَا.

رَحِمَهُ اللهُ، مَا أَعْظَمَ قَلْبَهُ، وَمَا أَرَقَّ خُلُقَهُ.

# عُطُورُ الوَفَاءِ.. وَشَذَى الأَدَبِ

# اِسْتِهْلالٌ

لَمَّا أَرْسَلْتُ العِطْرَ النَّدِيَّ إِلَىٰ بَعْضِ مَشَايِخِي وَأَهْلِ الأَدَبِ، رَجَوْتُ أَنْ يَلْتَقِيَ طِيبُ كِتَابِي بِطِيبِ أَنْفَاسِهِمْ؛ فَإِمَّا مَلْحُوظَةٌ، أَوْ نَصِيحَةٌ، أَوْ تَوْجِيهٌ، أَوْ نَفْحَةُ عِطْرٍ.

فَمَا لَبِثْتُ أَنْ عَادَ إِلَيَّ بِأَزْكَىٰ العُطُورِ وَأَصْفَاهَا، وَهَا هِيَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

وَ أَمَّا أُسْتَاذُنَا الأَدِيبُ الكَبِيرُ عَبْدُ الكَرِيمِ العِمَادُ - حَفِظَهُ اللهُ - فَهُوَ طَوِيلُ البَاعِ، بَصِيرُ النُّصْحِ، لَا يَزَالُ يُتْحِفُنِي بِتَوْجِيهٍ سَدِيدٍ، وَنُصْحٍ رَشِيدٍ.

وَقَدْ زَادَ هذِهِ المَرَّةَ قَارُورَةَ عِطْرٍ سَمَّاهَا: "عِطْرُ الوَفَاءِ".

ثُمَّ تَتَابَعَتِ العُطُورُ، وَتَهَادَىٰ إِلَيَّ عِطْرُ المَحَبَّةِ فِي زُجَاجَاتٍ مِن تَقْدِيرٍ وَثَنَاءٍ.

فَأَرْسَلَ لِي أَمِيرُ الشُّعَرَاءِ نَفْحَةَ وَفَاءٍ، وَجَادَ بِنَصِيحَةٍ قَيِّمَةٍ، لَا يُهْدِي مِثْلَهَا إِلَّا كِرَامُ العُقُولِ.

وَكَذَلِكَ فَارِسُ الشُّعَرَاءِ، أَشَادَ وَشَجَّعَ، ثُمَّ أَلْقَىٰ عَلَيْنَا جَوْنَةَ عِطْرٍ سَمَّاهَا: "عَلَىٰ شَاطِئِ البَحْرِ النَّدِيِّ".

وَأَمَّا الشَّاعِرُ المُتَأَلِّقُ عَاصِمُ البَيْطَارِ، فَقَدْ بَعَثَ إِلَيَّ قَارُورَةَ عِطْرٍ سَمَّاهَا: "العِطْرُ الجَمِيلُ".

قَارُورَةٌ تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ، تَدْفَعُهَا الأَشْوَاقُ، وَيُبْطِئُهَا الحَيَاءُ؛ حَسَنَةُ الخُلُقِ وَالخَلْقِ، كَصَاحِبِهَا، لَا تَرَىٰ مِنْهَا إِلَّا جَمَالَ العِبَارَةِ، وَبَهَاءَ المَعْنَىٰ، وَنُبْلَ الشُّعُورِ.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ وَفَاءِ الإِخْوَانِ، وَشَذَىٰ العُرْفَانِ، وَطِيبِ الجَنَانِ.

## ١- عَطْرُ الْوَفَاءِ

### لأُسْتَاذِنَا / عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعِمَادِ -حَفِظَهُ اللَّهُ-

طُهْـــرٌ وَرِقَّـــةُ أَنْفُـــسٍ وَحَنَـــانُ ... فِـــي قِصَّـــةٍ بِرِجَالِهَـــا تَـــزْدَانُ

فِـي قِصَّـةٍ تَهْفُـو الْقُلُـوبُ لِـذِكْرِهَا ... وَتَلَـــذُّ عِنْـــدَ سَـــمَاعِهَا الْآذَانُ

أَحْـدَاثُهَا الْعِطْـرُ النَّـدِيُّ عَبِيرُهَـا ... وَالْمُسْـــتَفَادُ لَآلِـــئٌ وَجُمَـــانُ

سَتَرىٰ جَواهِرَها لَدىٰ "العِطرِ النَّديِّ" ... لِلحاشِـــديِّ، وَحِـــبرِهِ أَشـــجانُ

بِفَصـــاحَةٍ، وَبَلاغَـــةٍ، وَبَراعَـــةٍ ... وَسَلاسَـــةٍ، وَكَأَنَّـــهُ سَـــحبانُ

أَبْطَالُهَـا الْبُسَـطَاءُ مَغْمُـورُونَ لَـمْ ... يَأْبَـــهْ بِهِـــمْ سِـــرٌّ وَلَا إِعْـــلَانُ

إِنَّ الْمَحَبَّـةَ وَالْإِخَـاءَ الْحَـقَّ فِـي ... طَيَّاتِهَـــا وَفُصُـــولِهَا أَلْـــوَانُ

بَـيْنَ الْعَـوَامِ الْكَـادِحِينَ حَيَـاتُهُمْ ... لَـــمْ يَحْـــوِهِمْ قَصْـــرٌ وَلَا إِيـــوَانُ

يَتَصَـبَّبُ الْعَـرَقُ الطَّهُـورُ لِكَـدْحِهِمْ ... وَكَأَنَّـــهُ الْيَـــاقُوتُ وَالْمَرْجَـــانُ

عَرَفُـوا طَرِيـقَ الْحَـقِّ فَاسْـتَبَقُوا لَـهُ ... حُبًّـــا كَمَـــا تَتَســـابَقُ الْفُرْسَـــانُ

عَرَفُـوهُ عُـزْلًا لَـيْسَ يَحْـدُوهُمْ بِـهِ ... إِلَّا الْيَقِـــينُ الْحَـــقُّ وَالْإِيمَـــانُ

لَمْ يَدْرُسُـوا عِنْـدَ الشُّـيُوخِ فَأَوْجَسُـوا ... أَنْ لَـــنْ يَكُونُـــوا سَـــابِقِينَ فَكَـــانُوا

مُتَسَـــلِّحِينَ بِعَـــزْمِهِمْ وَيَقِيـــنِهِمْ ... إِنَّ الْيَقِـــينَ عَلَـــىٰ الْهُـــدَىٰ بُرْهَـــانُ

لَا تَحْتَقِـرْ أَحَـدًا - هُـدِيتَ - فَرُبَّمَـا ... تَحْـــتَ الْغُبَـــارِ الـــدُّرُّ وَالْعَقْيَـــانُ

نَظَرَ الإِلَـهُ إِلَـىٰ الْقُلُـوبِ وَمَـا حَـوَتْ ... مَـــا هَمَّـــهُ مَـــا تَحْتَـــوِي الْأَبْـــدَانُ

مَـاتُوا شَـبَابًا صَـابِرِينَ عَلَـىٰ الْـبَلَا ... وَالصَّـــابِرُونَ جَـــزَاؤُهُمْ غُفْـــرَانُ

مِيزَانُ عُمْرِكَ لَا يُقَاسُ بِطُولِهِ ... لَكِنَّ مَا قَدَّمْتَهُ الْمِيزَانُ

لَيْسَ الْمَكَارِمُ بِاللِّسَانِ وَإِنَّمَا ... فِعْلُ الْفَتَىٰ لِلْمَكْرُمَاتِ لِسَانُ

وَاحْذَرْ مِنَ الْعُجْبِ الْقَبِيحِ فَإِنَّمَا ... عُجْبُ الْفَتَىٰ مِنْ فِعْلِهِ خُسْرَانُ

وَاجْعَلْ ذُنُوبَكَ مِنْ غُرُورِكَ حَارِسًا ... يَقِظًا، فَتَهْوِينُ الذُّنُوبِ هَوَانُ

وَلَرُبَّ مُنْتَسِبٍ لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ ... فَضِّ غَلِيظٌ سَاخِطٌ غَضْبَانُ

مُتَكَبِّرٌ مُتَشَدِّدٌ مُتَزَمِّتٌ ... قَاسٍ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ إِنْسَانُ!!!!

يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَىٰ النَّدَىٰ وَيَمِينُهُ ... وَيَسَارُهُ: الإِقْتَارُ وَالْحِرْمَانُ

وَيَسِيرُ مُلْتَحِفًا بِأَوْهَامِ التُّقَىٰ ... زَعْمًا، وَيَجْهَلُ أَنَّهُ عُرْيَانُ!!!

(مَنْ خَافَ أَدْلَجَ) وَالتَّوَاضُعُ شِيمَةٌ ... عُلْيَا، يَذُوبُ أَمَامَهَا النُّقْصَانُ

انْظُرْ لِأَخْلَاقِ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ ... هُمْ فَوْقَ هَامِ رُؤُوسِنَا تِيجَانُ

الْبَاذِلِينَ الرُّوحَ فِي نَشْرِ الْهُدَىٰ ... يَحْدُوهُمُ الْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ

سَلَبُوا النُّجُومَ ضِيَاءَهَا وَتَوَاضَعُوا ... لِلنَّاسِ حَتَّىٰ أَسْلَمَ الْعُرْبَانُ!!!

الْمُبْهِرِينَ بِصَمْتِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ ... وَمِنَ السُّكُوتِ بَلَاغَةٌ وَبَيَانُ

الْحَامِلِينَ الْمُرْهَفَاتِ إِلَىٰ الْوَغَىٰ ... شُهُبًا، تَهَابُ لَهِيبَهَا النِّيرَانُ

دَاسُوا رُؤُوسَ الْكُفْرِ تَحْتَ حَوَافِرٍ ... يَرْتَاعُ مِنْهَا الْفُرْسُ وَالرُّومَانُ

أَقْوَالُهُمْ أَفْعَالُهُمْ طُبِقَتْ كَمَا ... تَتَطَابَقُ الْأَرْوَاحُ وَالْأَبْدَانُ

نَالُوا الْأَمَانَ بِخَوْفِهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ... وَالْخَوْفُ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ أَمَانُ..

الصَّائِمُونَ الْقَائِمُونَ لِرَبِّهِمْ ... الرَّاكِعُونَ السُّجَّدُ الرُّهْبَانُ

إِنَّ اتِّبَاعَكَ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... نَهْجٌ بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّ يُصَانُ

لَا تَرْهَبَنَّ مِنَ الشَّدَائِدِ إِنَّمَا ... عِنْدَ الْعَوَاصِفِ يُعْرَفُ الرُّبَّانُ

خُذْ مِنْ مَآثِرِهِمْ وَشَمِّرْ مِثْلَهُمْ ... ذَاكَ الْجَوَادُ وَذَلِكَ الْمِيدَانُ

## ٢- نَفَحَاتُ وَفَاء
## لِلشَّاعِرِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَعْمِيِّ -حَفِظَهُ اللَّهُ-

بَكَىٰ الطَّيْرُ مِنْ حَوْلِي وَقَدْ كَانَ صَادِحا ... فَأَشْجَىٰ بِتَرْجِيعِ الْبُكَاءِ الْجَوَانِحَا
ذَكَرْتُ بِهِ إِلْفَيْنِ عَاشَا عَلَىٰ الْهُدَىٰ ... وَمَاتَا عَلَيْهِ فَانْثَنَىٰ الدَّمْعُ سَافِحا
وَكُلٌّ بِذِكْرِ الْمَوْتِ قَدْ طَعِمَ الْأَسَىٰ ... وَكُلٌّ بِذِكْرِ الْمَوْتِ قَدْ نَالَ فَادِحا
وَقَدْ تَذْكُرُ الْأَطْيَارُ فَرْخًا لَهَا مَضَىٰ ... فَمَالَكَ لَا تَبْكِي النُّجُومَ الْمَصَابِحَا
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ بِالْمَوْتِ كَأْسًا رَوِيَّةً ... يَجِدْ غَيْرَهُ قَدْ ذَاقَ إِنْ كَانَ نَاصِحا
أَرَىٰ الْمَوْتَ مِنْ عَيْنَيَّ قَدْ سَلَبَ الْكَرَىٰ ... وَصَيَّرَ عَذْبَ الرِّيقِ فِي الْفَمِ مَالِحا
وَهَاكَ أَخِي فِي الْبَابِ هَذَا نَمُوذَجًا ... بِهِ يَقْتَدِي مَنْ كَانَ يَهْوَىٰ الْجَحَاجِحَا
فَقَدْ ذَكَرَ الْخِرِّيتُ فَيْصَلُ قِصَّةً ... لِشَخْصَيْنِ سَامَا فِي الصَّلَاحِ النَّوَاطِحَا
لِشَخْصَيْنِ كَانَا فِي الْأُخُوَّةِ مَضْرِبًا ... بِهِمْ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ مَنْ كَانَ مَادِحا
صَلَاحٌ مَعَ الْكِنْدِيِّ فِي الصِّدْقِ خَالِدٍ ... بِهِمْ فَيْصَلٌ قَدْ أَفْعَمَ الْجَوَّ نَافِحا

أَبُو عُمَرَ: عَبْدُ الْكَرِيمِ الْجَعْمِيُّ
٢٣ / ذُو الْقَعْدَةِ / ١٤٤٦هـ

## ٣- عَلَى شَاطِئِ الْعِطْرِ النَّدِيِّ
## لِلشَّاعِرِ/ حَمُودِ الْبُعَادِنِيِّ -حَفِظَهُ اللَّهُ-

بَرقُ الصَّباحِ يَضوعُ بالعِطرِ النَّديِّ ... وبِكُلِّ فاكهةٍ وغُصنٍ أملَدِ
سَفرٌ بأسطُرِهِ المُضيئةِ مُسفِرٌ ... يَسبي العُيونَ كعارضٍ مُتوقِّدِ
فَهْيَ الدَّليلُ علىٰ بَراعةِ فَيصَلٍ ... مِثلُ النُّجومِ بِها المُسافرُ يَهتدي
قالوا الشواطئُ لا تُرَىٰ أبعادُها ... ما بالُها طُوِيَت وصارت في اليدِ
في شاطئِ العِطرِ النَّديِ مَن يَمشِهِ ... يَظفَرْ بعَنبَرِهِ الأصيلِ الجَيِّدِ
في زَهرةِ العِطرِ النَّديِ مَن شمَّها ... يُفتَن بها مِن رائِحٍ أو مُغتَدِ
فاحت بِترجَمةِ الكَريمَينِ احتَوَت ... أزكىٰ حياتِهما، حياةٍ مُسَدَّدِ
لِصلاحِ العَدنيِّ ما قَرَّت به ... عينٌ ولِلكَنديِّ أعذبُ موردِ
رَجُلانِ في اللهِ العَظيمِ تآخَيا ... نِعمَ الإخاءُ علىٰ طريقِ مُحمدِ
زَهَدا ونِعمَ الزُّهدُ في الدُّنيا وَيا ... شَوقَ التَّقيِّ إلىٰ الخُلودِ السَّرمدي
صَبْرًا علىٰ مُرِّ البلاءِ لِيَظفَرا ... إن شاءَ ربُّكَ بالسَّعادةِ في غدِ
لِلّهِ دَركَ فيصلَ التأليفِ ما ... أزكىٰ نَسيمَكَ، فاحَ مِن زَهرٍ نَدي
كلُّ العُطورِ لعَرفِها أَجَلُّ، ولنْ ... يَبقَىٰ بنَفحَتِهِ سوىٰ العِطرِ النَّديِّ

حمود البُعادني

٢١/ ذو القعدة/ ١٤٤٦هـ

## ٤- الْعِطْرُ الْجَمِيلُ

### للشَّاعِرِ/ أَبِي عِمْرَانَ عَاصِمِ الْبَيْطَارِ -حَفِظَهُ اللَّهُ-

يَا صَاحِبَ الْعِطْرِ الْجَمِيلِ الوَرْدِي ... يَا فَارِسٌ فَذٌّ قَوِيُّ الزَّنْدِ

لِلَّهِ دَرُّكَ فِي كِتَابَةِ قِصَّةٍ ... لِلْفَاضِلَيْنِ صَلَاحِ ثُمَّ الْكِنْدِي

رَحِمَ الْإِلَهُ ثَرَاهُمَا فَكِلَاهُمَا ... لَهُمَا أَيَا شَيْخِي مَقَامٌ عِنْدِي

وَكَذَاكَ عِنْدَ الصَّالِحِينَ وَإِنَّنِي ... أَرْجُو الْكَرِيمَ لِقَاهُمَا فِي الْخُلْدِ

تَرَكَا كَمَا قُلْتُمْ خُيُوطَ مَوَدَّةٍ ... لَا تَنْمَحِي أَبَداً بِطُولِ الْعَهْدِ

كَانَا عَلَىٰ جُهْدٍ عَظِيمٍ طَيِّبٍ ... أَكْرِمْ بِهِ يَا شَيْخَنَا مِنْ جُهْدِ

شُغِلَا بِنَشْرِ الْخَيْرِ عَنْ أَشْيَاخِنَا ... بَذَلَا لِهَذَا غَالِيَاتِ النَّقْدِ

وَتَحَمَّلَا مِحَنَ الْحَيَاةِ وَصَابِرَا ... وَعَلَىٰ الْهُدَىٰ قَدْ أُدْخِلَا فِي اللَّحْدِ

فَإِلَىٰ الَّذِي يَبْغِي اعْتِبَاراً هَذِهِ ... هِيَ قِصَّةٌ كُتِبَتْ بِكُلِّ الْوُدِّ

يَرْوِي لَنَا أَحْدَاثَهَا شَيْخٌ لَهُ ... بَاعٌ طَوِيلٌ فِي جَمِيلِ السَّرْدِ

شَيْخُ الْمَعَانِي وَالْفَصَاحَةِ فَيْصَلٌ ... أَكْرِمْ بِهِ شَيْخاً نَدِيَّ الْأَيْدِي

# الْخَاتِمَةُ

جَرَىٰ القَلَمُ بما فاضَتْ بهِ المَشاعِرُ، ولَولا أنِّي أُمسِكُ بِلِجامِهِ، لَمَضىٰ في مِدادِهِ لا يَلتَفِتُ ولا يَتوقَّفُ، ولَولا خَشيَةُ الإطالةِ والسَّآمَةِ، لَأَطلَقتُ لهُ العِنانَ؛ فَفي الجَعبَةِ كَثيرٌ، وفي القَلبِ فَيضٌ مِنَ الذِّكرياتِ والعِبَرِ.

وإنْ كانَ صَلاحُ العَدَنِيُّ وخالِدُ الكَندِيُّ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ مِن عامَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ، فإنَّ أَعظَمَ ما يُهدِيانِ لَنا – مَعشَرَ أَهلِ السُّنَّةِ – هو التَّذكيرُ بأنَّ الجِلْبابَ البَسيطَ، إذا زُيِّنَ بالتَّواضُعِ، وهُذِّبَ بهَضمِ النَّفسِ، أرفعُ قَدْرًا، وأَسمىٰ مَقامًا، مِن عِلمٍ غَزيرٍ يُداخِلُهُ رَذاذُ كِبْرٍ، أو نَفَسُ عُجْبٍ، أو شَوائبُ مِن أَمراضِ القُلوبِ.

فَطُوبىٰ لِمَن طهَّرَ اللهُ قَلبَهُ، وجَعَلَ التَّواضُعَ زينتَهُ، والصِّدقَ سِمَتَهُ، والإخلاصَ سَريرتَهُ.

**وَأَهْمِسْ:**

إِلَىٰ كُلِّ مَنْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ المَعْرِفَةَ بِجَابِرٍ، أَوْ صَلَاحٍ، أَوْ خَالِدٍ، أَوْ مَازِنٍ رَحِمَهُمُٱللَّهُ:

إِنْ سَطَعَتْ فِي ذَاكِرَتِكَ لَحْظَةٌ جَمِيلَةٌ، أَوْ خَفَقَ فِي قَلْبِكَ ذِكْرٌ لِخَيْرٍ رَأَيْتَهُ مِنْهُمْ، فَتَكَرَّمْ بِرِوَايَتِهِ.

فَرُبَّ كَلِمَةٍ تُخَلِّدُ سِيرَةً، وَرُبَّ ذِكْرَىٰ تُحْيِي قَلْبًا.

رَاسِلْنَا عَلَىٰ هَذَا الرَّقْمِ: ٠٠٩٦٧٧٧١٣٩٩٤١٠

ونَسأَلُ اللهَ أنْ يُطَهِّرَ قُلوبَنا مِن كُلِّ داءٍ، وأنْ يَرزُقَنا الصِّدقَ والإخلاصَ في القَولِ والعَمَلِ، وأنْ يُلحِقَنا بالصَّالحينَ غَيرَ مَفتونينَ، ولا مُبَدِّلينَ.

# فهرس

مقدمة ..... ٦
١- تَقْدِيمُ الشَّيْخِ: أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ رُدْمَانِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْحُبَيْشِيِّ - حَفِظَهُ اللهُ - ..... ٦
٢- تَقْدِيمُ الشَّيْخِ: أَبِي سُلَيْمَانَ سَلْمَانِ بْنِ صَالِحٍ العِمَاد - حَفِظَهُ اللهُ- ..... ٩
٣- تَقْدِيمُ الشَّيْخِ أَبِي حَمْزَةَ عِيسَىٰ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ بِن أَحْمَدَ الْمُصَنِّفِ ..... ١٢
المُقَدِّمَةُ ..... ١٥
**أدبٌ لا يُنسى، وأثرٌ لا يُمحى ..... ١٧**
اِسْتِهْلالٌ ..... ١٩
١- لَمَحَاتٌ عَطِرَة مِنْ حياة صَلاحِ العَدَنِيِّ ..... ٢٠
٢- صَلاحُ العَدَنِيُّ... نَبْضُ القَلْبِ، وَأَثَرُ الصَّالِحِينَ ..... ٢١
٣- قِصَّةُ رُوحٍ رَحَلَتْ، وَلَمْ تَرْحَلْ ..... ٢٤
٤- قِصَّةُ الرِّقَّةِ وَالوَفَاءِ ..... ٢٨
٥- قِصَّةُ العَارِفِ المَجْهُولِ ..... ٢٩
٦- وَمَاتَ صَلاحٌ... وَكَانَ مَوْتُهُ حَيَاةً! ..... ٣١
٧- وَكَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا بِالرَّحِيلِ ..... ٣٢
٨- وَصِيَّتُهُ... وَنَبْضُ قَلْبِهِ قَبْلَ الْفِرَاقِ ..... ٣٣
٩- هِمَّةُ صَلاحِ الْعَالِيَةُ فِي نَشْرِ الْخَيْرِ وَالْعِلْمِ ..... ٣٥
١٠- صُوَرٌ مِنْ سَلامَةِ صَدْرِ صَلاحِ الْعَدَنِيِّ، وَحُسْنِ خُلُقِهِ ..... ٣٨
١١- وَفاءُ صَلاحِ العَدَنِيِّ لِلشَّيْخِ عِيسَىٰ المُصَنِّفِ ..... ٤١
١٢- كَرَمُهُ الخَفِيُّ .. وَكَنْزُهُ الخَالِدُ ..... ٤٢

**خالدُ الكِندِيُّ مدرَسَةٌ فِي الوَفَاءِ** ..... ٤٣
اِسْتِهْلالٌ ..... ٤٥
١٣- نَفَحَاتٌ مِنْ حَيَاةِ خَالِدٍ الكَنْدِيِّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفرَ له - ..... ٤٦
١٤- نَبَرَاتُ الوَدَاعِ ..... ٤٩
١٥- وَرَحَلَ الأَحِبَّةُ.. وَبَقِيَ الأَثَرُ ..... ٥٠
١٦- رُفَقَاءُ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ ..... ٥٢
١٧- الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ..... ٥٣
١٨- مَوْتُ خَالِدٍ الكِنْدِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ..... ٥٤
١٩- إِشْرَاقَةٌ منْ قِصَّة الطَّبِيْب الهِنْدِيِّ آرْهَان ..... ٥٥
٢٠- مَوْتُ الطَّبِيبِ آرْهَان ..... ٥٧
٢١- قِصَّةُ مَازِنِ العَيْدَرُوس ..... ٥٨
**أنفَاسٌ مِن أثَرٍ لا يُمحى** ..... ٦١
مَا تَعَلَّمْنَاهُ منْ هَذِهِ القِصَّةِ ..... ٦٣
١- أَهَمِّيَّةُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ ..... ٦٤
٢- الحُبُّ فِي اللهِ ..... ٦٥
٣- المُوَاسَاةُ ..... ٦٧
٤- المَشَاعِرُ الصَّادِقَةُ العَفَوِيَّةُ ..... ٦٨
٥- حِفْظُ مَشَاعِرِ العَوَامِّ ..... ٦٩
٦- الاسْتِفَادَةُ مِنْ دُرُوسِ وَمَوَاعِظِ العُلَمَاءِ وَطُلَّابِ العِلْمِ ..... ٧١
٧- التَّوَاصُلُ بِالعُلَمَاءِ وَطُلَّابِ العِلْمِ ..... ٧٣
٨- التَّوَاصِي بِالْحَقِّ ..... ٧٤

٩- الغَيْرَةُ عَلَىٰ دِينِ اللهِ ..... ٧٥
١٠- العَمَلُ لِهَذَا الدِّينِ ..... ٧٦
١١- الدَّعْوَةُ بِالأَخْلَاقِ وَالأَدَبِ ..... ٧٨
١٢- هَضْمُ النَّفْسِ، وَالشُّعُورُ بِالتَّقْصِيرِ ..... ٧٩
١٣- الإِخْلاصُ فِي دَعْوَةِ النَّاسِ ..... ٨٠
١٤- حَنَانُ زَوْجَةِ الأَبِ ..... ٨١
١٥- الإِبْتِلاءُ ..... ٨٢
١٦- مَعرِفَةُ بَعضِ الحِكَمِ مِنَ الابتِلاءِ ..... ٨٤
١٧- الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ بُشْرَىٰ خَيْرٍ ..... ٨٦
١٨- عُلُوُّ الْهِمَّةِ فِي خِدْمَةِ الدَّعْوَةِ وَعَمَلِ الْخَيْرِ ..... ٨٧
١٩- نَفَحَاتُ سَلامَةِ الصَّدْرِ ..... ٨٨
٢٠- الْوَفَاءُ ..... ٩٠
٢١- الصِّدْقُ مَعَ اللهِ ..... ٩٢
**مِن أقوَالِ أهلِ الفَضْلِ في صَلاح العدني ..... ٩٣**
اِسْتِهْلالٌ ..... ٩٥
١- الشَّيخُ رَدْمَانُ الحُبَيْشِيُّ - حَفِظَهُ اللهُ - ..... ٩٦
٢- الشَّيْخُ عِيسَىٰ الْمُصَنَّفُ - حَفِظَهُ اللهُ - ..... ٩٨
٣- الشَّيخُ ماهِرٌ الشَّاذِلِيُّ - حفِظَهُ الله - ..... ٩٩
٤- الدَّاعِيَةُ المُبارَكُ: أَبُو سُفْيَانَ مَازِن بَاوَهَال الشَّبَوِيُّ - حَفِظَهُ اللهُ - ..... ١٠٠
٥- الدَّاعِيَةُ المُبَارَكُ أَبُو إِلْيَاسَ مُحَمَّدُ النَّخْلانِي - حَفِظَهُ اللهُ - ..... ١٠٠
٦- الداعِيَةُ المُبارَكُ عَبْدُالرَّقِيبُ بْنُ أَمِينٍ - حَفِظَهُ اللهُ - ..... ١٠٠

٧- عَاصِمُ الْبَيْطَارِ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ وَسَمَهَا بِـشَذَىٰ الصَّلاحِ..... ١٠٠
٨- أَرْمَلَةٌ كَانَ صَلاحٌ يَكْفُلُهَا هِيَ وَابْنَتَهَا الْيَتِيمَةَ..... ١٠١
**عُطُورُ الوَفَاءِ.. وَشَذَى الأَدَبِ ..... ١٠٣**
اِسْتِهْلالٌ ..... ١٠٥
١- عَطْرُ الْوَفَاءِ لأُسْتَاذِنَا / عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعِمَادِ -حَفِظَهُ اللهُ- ..... ١٠٦
٢- نَفَحَاتُ وَفَاء للشَّاعِرِ/ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَعْمِيِّ -حَفِظَهُ اللهُ- ..... ١٠٨
٣- عَلَىٰ شَاطِئِ الْعِطْرِ النَّدِيِّ للشَّاعِرِ/ حَمُودِ الْبُعَادِنِيِّ -حَفِظَهُ اللهُ-..... ١٠٩
٤- الْعِطْرُ الْجَمِيلُ للشَّاعِرِ/ أَبِي عِمْرَانَ عَاصِمِ الْبَيْطَارِ -حَفِظَهُ اللهُ- ..... ١١٠
الْخَاتِمَةُ ..... ١١١
فِهرِس ..... ١١٢

# العطر الندي
## في قصة صلاح العدني وخالد الكندي

تأليف:

أبي عبد الله فيصل بن عجرة قادر الحاشري

عفا الله عنه